

الأخيه الأعز في ذكره ووفعه
بطيئة الحبيبة

صف وطبع هذا الكتاب بمكتبة الخانجي
ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مِنْ تَرَاثِ طَيْبِنَا الطَّيِّبَةِ

الْأَخْبَارُ الْعَرَبِيَّةُ ذِكْرًا وَمَوْعِظَةً
بِطَيْبِنَا الْحَبِيبَةِ

السَّيِّدُ جَعْفَرُ بْنُ السَّيِّدِ حَسَنِ هَاشِمِ الْمَدَنِيِّ
الْإِمَامِ وَالْمُطَّيَّبِ فِي الْمَجْدِ النَّبَوِيِّ
الْمُتَوَفَّى (١٣٤٢ هـ)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

. [سورة الحشر آية ٩] .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - :

« لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْعَمَ كَمَا يَنْعَمُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ » .

. [أخرجه البخاري ومسلم] .

وَقَالَ كَذَلِكَ - ﷺ - :

« الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ تَنْفَى حَبَبَهَا وَيَنْصَعُ طَبِيبَهَا » .

[أخرجه البخاري ومسلم]

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، وخاتم المرسلين ﷺ ، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد

فهذا كتاب من الكتب التي تناولت مرحلة زمنية من المراحل التي عاشتها المدينة المنورة ، وحوادث عديدة في فترة القرن الثاني عشر الهجري ، والتي لم تحظ بالدراسة العلمية الوافية رغم أهميتها .

ومن هنا علل المؤلف في مقدمته للكتاب الدافع الذي من أجله جمع وصنف مؤلفه هذا فتراه يقول : « إني لما وقفت على مسودة تاريخ المرحوم العالم الفاضل والجهيد الكامل الخطيب : عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ علي الأنصاري المدني ... فوجدته مخروماً من عدة جهات ، وفيه من النوادر واللطائف والوقائع التي وقعت في المدينة المنورة مالا يوجد في غيره من المؤلفات ؛ لكونه مدنياً ؛ وصاحب الدراري ، فالتعويل عليه في النقل أحق من غيره وأحرى ، فجمعت منه ما أمكنتني جمعه في هذه الرسالة ، واختصرت في بعض الأماكن ... وضممت إليها بعض نقول نقلتها عن العلماء الأعلام ... » (١)

والكتاب بحق يعتبر من هذا الجانب له أهمية كبيرة ، لأنه يتناول أحداث وتاريخ للمدينة الطاهرة طيبة الطيبة ، ومن هذه الفتن والأحداث التي ذكرها المؤلف نرى كيف امتحنت هذه المدينة النبوية ، وكيف أنها قد عاشت فترة من

(١) انظر : مقدمة المؤلف .

الفتن والفساد ، وكيف انتصر الحق على الباطل ، وسوف نرى أن كل من أرادها بسوء أذابه الله كما يذاب الملح في الماء ، وكيف أنها تنفى خبيثها كالكبير .

وقد ذكر المؤلف أهم الحوادث التي وقعت في الفترة الزمنية لعام ١١١١ هـ وحتى ١٢٠٣ هـ ومن هذه الحوادث والفتن ما يلي :

- الفتنة الواقعة بين أهل المدينة وبنو علي سنة ١١١١ هـ .
- فتنة العهد التي وقعت زمن شيخ الحرم « أيوب أغا » بين الأغوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤ هـ .
- فتنة بشير أغا ، بين أغوات الحرم النبوي الشريف ، وأهل المدينة ، وشاركت فيها بعض القبائل مثل قبيلة حرب سنة ١١٤٨ هـ .
- فتنة عبد الرحمن أغا الكبير ، أو فتنة كابوس وذلك سنة ١١٥٥ هـ .
- فتن أخرى وقعت فيما بين سنة ١١٨٧ هـ إلى سنة ١١٩٤ هـ .

ومما يؤخذ على الكتاب :

عاش المؤلف في فترة حكم الأتراك ، وتسرب الضعف إلى أمور كثيرة وجوانب من الحياة ، مثل ضعف أساليب اللغة العربية ، فاستعمل المؤلف كثيراً من المصطلحات والألفاظ التي كثيراً ما بعدت عن الفصح في اللغة العربية ، وعدم اتباع قواعد اللغة ، ولجأ المؤلف إلى استخدام عبارات عامية كثيرة .

ومما يؤخذ كذلك على الكتاب عدم ترابط موضوعاته .

ويؤخذ على الكاتب عدم تثبته من بعض الروايات التاريخية التي ذكرها مؤلفون سابقون كنقله العشوائى لبعض القصص ، التي ذكرها الشاعر « ابن عتبة في ديوانه ، أو في كتاب عمدة الطالب » .

أهمية الكتاب

لقد اطلع الدكتور عاصم حمدان علي : على مخطوطة كتاب الأخبار الغربية ، وعقد له فصلاً في كتابه : « المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ » ، وألخص ما جاء به في كتابه هذا عن الكتاب الذي بين أيدينا .

• تنبع قيمة الكتاب العلمية من تتبع الكاتب للحوادث التاريخية في المدينة في فترة القرن الثاني عشر الهجري والتي لم تحظ بالدراسة ، وتكتسب هذه الفترة أهميتها من العوامل التالية :

- ظهور عدد من الدعوات في العالم الإسلامي ، ولقد كانت المدينة المنورة يحكم قدسيته مركزاً دينياً هاماً ، تلقى العديد من الشخصيات الفكرية في مسجدها الشريف جزءاً من دراستهم العلمية على يد بعض علمائها ...

- وقع المجتمع المدني تحت تأثير تغيرات اجتماعية كثيرة في هذه الفترة الزمنية بسبب عامل الهجرة من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ولعل في ذلك ما يلقي الضوء على ذلك الاتجاه العلمي الذي ظهر لدى بعض أدياء المدينة في تلك الفترة ..

- شهدت هذه الفترة صراعاً شديداً بين المواطنين وبين المسؤولين عن إدارة شؤونها الذين كانوا أغوات يتولون مشيخة الحرم النبوي الشريف ، ويبدو أن الدولة العثمانية كانت تتولى تعيين هؤلاء الأغوات الذين لم يحسنوا في فترة القرن الثاني عشر الهجري تصريف أمور البلدة المقدسة .

- لقد كانت فترة القرن الثاني عشر الهجري فترة متميزة من حيث الإنتاج العلمي حيث ساهم هؤلاء الأدياء في امداد القصيدة العربية بزخم شعري جديد ، كما حافظوا على شكلها التقليدي^(١) .

(١) انظر : المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ١٢٤ بتصرف .

وفي الكتاب فوائد أخرى غير ذلك سوف يلمسها القارئ والباحث في تاريخ المدينة .

هذا ، ونسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وأن ينفعنا بما علمنا وينفعنا بما علمنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مرزوق على إبراهيم

في المدينة النبوية ١٤١٢/٩/٣ هـ .

ترجمة المؤلف

اسمه وولادته وفاته :

لم أتمكن من معلومات كافية ومصادر لترجمة المؤلف إلا في مصدر واحد وهو كتاب : « المدينة المنورة في التاريخ » لعبد السلام هاشم حافظ .

فاسمه : السيد جعفر بن السيد حسين بن السيد يحيى هاشم الحسيني المدني .

وقد كانت ولادته بالمدينة المنورة ، وكانت وفاته بالمدينة كذلك ، وكانت سنة ١٣٤٢ هـ الموافق لعام ١٩٢٣ م كما ذكر صاحب كتاب : « المدينة المنورة في التاريخ » .

علمه : قال عنه الأستاذ عبد السلام هاشم : كان واحداً من أدباء المدينة ، وأنه ترك مؤلفاً في تاريخ المدينة .

أما عن أسرته ونسبه : فهم بيت علم وفضل كما ذكر صاحب كتاب « تحفة المحبين » في ترجمته لبيت هاشم ، فأصلهم السيد هاشم بن السيد إبراهيم الموسوي الرومي الحسائي ، وقد قدم إلى المدينة المنورة في سنة ١٠٧٠ هـ وكان رجلاً كاملاً عاقلاً ، ثم اختار المجاورة بالمدينة ، فكان من أحسن المجاورين سيرة وسريرة ، وكان ملازماً للصلوات إلى أن مات ... وذكر عدداً من أولاده وكلهم على درجة من الصلاح والنشأة الطيبة ، وتقلدوا المناصب الرفيعة في المدينة المنورة آنذاك (١) .

* * *

وصف مخطوطة الكتاب

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطة وقف جعفر حسين هاشم الحسيني مؤلفها من أحد مكاتب آل هاشم بالمدينة المنورة ، وقد أتى إلى بها عن طريق أحد الإخوة الأفاضل ، وعدد صفحاتها ٨٤ صفحة من القطع المتوسط ، ومسطرتها ٢١ سطرًا في المتوسط ، أما عدد كلماتها فهو ١٠ كلمات في كل سطر على وجه التقريب .

وقد نسخت هذه المخطوطة بخط واضح قريب العهد بنا في القرن الحادي عشر الهجري وعلى وجه التحديد سنة ١٠٣٦ هـ ، أما ناسخها فهو مؤلفها وجامعها : جعفر بن السيد حسين بن يحيى هاشم الحسيني المدني ، كما ثبت ذلك في نهاية المخطوطة .

وازدانت حواشي بعض صفحات هذه المخطوطة بالتعليقات المفيدة والنافعة لما حواه النص من إشكالات .

وفيما يلي نماذج لبعض صفحات هذه المخطوطة :

الاعخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة
نسخة ثانية

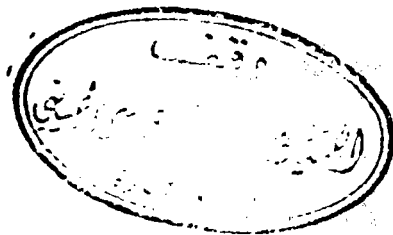
الاعخبار الغريبة في ذكر ما وقع
بطيبة الحبيبة

اشتر
في الاعيان الامثال ورقة عيون السار
الامثال السيد بن الحسين

هاشم الامام والمطيب

في المسجد النبوي

رحمهما الله
تعالى



"أشرف على تظليله في وضعه الراهن

١ / ١ / ١٤١٢

بنيان بن السيد ابراهيم هاشم"

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تم وما سواه فان . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
سيد ولد عدنان . وعلى آله بنجوم المدى . واصحابه انهار الدين الذين من اقدى
اهدى . وبعد فيقول المقتدر الرحمة مولاه الغني . جمع من الخطيب الحسين
ابن المرحوم السيد محيي هاشم الحسيني المدني . اني لما وقفت على مسودة تاريخ المرحوم العالم
الفاضل والجهيد الكامل الخطيب عبد الرحمن بن المرحوم حسين بن المرحوم الشيخ علي الانصاري المدني
رحمه الله تعالى رحمة البرار واسكنه جنة تجري من تحته الانوار . بجله فوجدته مخروما
من عدة جهات . وفيه من النوار والطايف والوقايح التي وقعت في المدينة المنورة
ما لا يوجد في غيره من المؤلفات . لكونه مدنيا وصاحب الدار ادرك
فالتحويل عليه في النقل حق من غيره . وحرى . فجمعت منه ما امكنتني جمعه
في هذه الرسالة . واختصرت في بعض الاماكن ذكر بعض اشياء فطقت
ان قال خوف الامالة . وضمت اليها بعض نقول نقلها عن العلماء
الاعلام . وكل نقل عزوته الى صاحبه . وكتبت تحته انتهى
خوف الملام . ولست انا بمؤلف وانما انا جامع لما قاله . والعهد
عليه فيما سطره ونقلوه . وسميته
الاشجار الغريبة . في ما وقع بطيبة المحبوبية
واسئله التوفيق . لا اوضح طريق

من غير تعيين لفظه سبحانه . وانما به بحسب ما

ذكر القصة

الوان قال رحمه الله تعالى ثم تولى مشيخة الحرم محمد بن جواد السعدي 99 لله واستمر في المنصب الى ان توفى في ذلك في ايامه
 على اسر المائتين حدثت فتنة عظيمة بين عساكر المدينة وسببها ان بعض محبي الفتنة اشار عليه بعض كثره فرتحيان احد
 ونصب عبد الله مديني ففعل فوقع المشاحنة بين الوعاظات وتمصب كثير من النويبتة براد الكتخذ الحمد رجب وساعد
 على ذلك اهل القلعة ولما راى لكفء الحمد رجب زيادة الحال تعفف عن المنصب وطلع الى قبا اطفأ النار الفتنة وتكاثرت قاضي
 المدينة المنورة في هذه السنة اسما عن 8 الف اذني كاتب زاده وكان رجلا مباركا فصار يتفوه ويقول والله انما حكي بالمدينة
 لا تقع فتنة فيها ابدا فكانت الامم كذلك الى ان توفى رحمه الله ففي يوم وفاته ضحوت النهار ما فطن الناس الا واهل القلعة

عليه ماء ونزاد وهو في ملل
 فحيثما قد راي عجزه طلب
 مع الأمان واجاههم بلا جدل
 انفاظ حتى امتلوا بالهم والعلل
 في معرك من صياح الحرب في زجل
 كم قتلوا منهم يا صاح من رجل
 من ان قربه هو يدني الى الأجل
 من قبل اربع مع تسعين ان تسئل
 فهل سمعت بملك غير منتقل
 جاءت لنا نجدة من مالك الدول
 عبد الحميد ملك الوقت خير ولي
 والناس ملائمة بالانف والجدل
 على الدولم مدى الأوبار والأصل
 بما اهدت سحود معا على طلل ٢

لما صروه بها من بعد ما منعوا
 فأخرجوهم بلا ضر ولا نكد
 فحين اسمع زبي الأخبار سيئهم
 فأرسل الجردة التمسأ لأظفرت
 ففقا بلوهم رجال الحرب في شدة
 كم انزلوا فارسا بالعزم من فرس
 كروا عليهم ففروا حينما علموا
 وذلك في عام الف بعده مائة
 يذاك عن طيبة قد زال ملكهم
 لكن بجد اليه الخلق خالقنا
 سلطاننا املك العالي وما كنا
 منها القلوب لقد سرت وقد فرحت
 هبت بنا ديه ربح النصر عاطرة
 وورلم في الملك تأمينا بشائره

ومن في طرف
 الحمد رجب لولا
 المحكمة السلطانية وتدرسة بالارجمه
 ومسكو المسجد وجمع ما حوله
 واطلقوا على اولئك الطائفة رميا
 بالبنادق بما وكادوا يضطوا الحارة
 واتاروا على جميع ما بها الغارة ولما
 ووسل الخير الى شيخ الحرم خرج من بيته
 مدهوشا وقال اذهبوا اليهم وارضوهم
 بما يكون لطيفوا انار الحرب فان كان
 يرمتهم تتلى اسم لهم نفسي وان كانوا
 يسفروا في سافرت في هذا اليوم
 قد هب بهم وسائط الخير وقالوا لهم
 بذلك ففقا لو اكل ذلك لا تزيد
 وانما طلبتنا يسيره ويدنا عن طلب
 مثل ذلك في حقه قصيره بل يغزل
 عبد الله مديني من المنصب وينصب
 الحمد رجب فقال ابوتوفيه فانزلوه
 المذلل فرج من مكانه ونصب
 نحن البسبح ورقة النوبه
 وتوجه كل منهم
 الى منزله وطمعت الفتنة في تلك
 الساحة كانوا هم تكن ونقصت
 الدكاكين وحصل البيع والشرا
 فانظر الى كرامة هذا القاضي
 ولطافة هذا الاغار حجه الله
 وايانا اجمعين انتهى ما ارت جمعه
 في هذه السأله وصل الله على سيدنا
 محمد وعلى الو وصحبه وسلم صومع

وكان القراع من جمعها صبح يوم الثلاثاء غاية ذي الحجة الحرام ختام سنة ست
 بعد الثلاثمائة والألف بقلم جامعها الفقير اليه عز شانه جعفر بن السيد بن الحسين
 السيد محي لهاشم الحسيني المديني غفر الله له ولوالديه ولشايخه وجميع المسلمين الذين



الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع

بطيبة الحبيبة

للسيد جعفر بن السيد حسين هاشم المدني

الإمام والخطيب في المسجد النبوي

المتوفى (١٣٤٢ هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الدائم وما سواه فإن ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ولد
عدنان ، وعلى آله نجوم الهدى ، وأصحابه أنصار الدين الذين من اقتدى بهم
اهتدى . وبعد ...

فيقول المفتقر إلى رحمة مولاه الغنى : جعفر بن الخطيب السيد حسين بن
المرحوم السيد يحيى هاشم الحسيني المدني ^(١) إني لما وقفت على مسودة تاريخ
المرحوم العالم الفاضل والجهيد الكامل الخطيب : عبد الرحمن بن المرحوم حسين
ابن المرحوم الشيخ على الأنصاري المدني ^(٢) رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه
جنات تجري من تحتها الأنهار ، بخطه ، فوجدته مخروما من عدة جهات وفيه من
النوادر واللطائف والوقائع التي وقعت في المدينة المنورة مالا يوجد في غيره من
المؤلفات ؛ لكونه مدنياً وصاحب الدراري ^(٣) فالتعويل عليه في النقل أحق من
غيره وأحرى ؛ فجمعت منه ما أمكنني جمعه في هذه الرسالة ، واختصرت في
بعض الأماكن ذكر بعض أشياء من غير تغيير لألفاظه السيالة ، وأساليبه العسالة ،
فقلت إلى أن قال خوف الإطالة ، وضممت إليها بعض نقول نقلتها عن العلماء
الأعلام ، وكل نقل عزوته إلى صاحبه وكتبت تحته انتهى خوف الملام ، ولست أنا
بمؤلف ، وإنما أنا جامع لما قالوه والعهددة عليهم فيما سطره ونقلوه وسميتها :
« الأخبار الغريبة في ذكر ما وقع بطيبة الحبيبة » وأسأله التوفيق لأوضح طريق .

(١) انظر : ترجمته في المقدمة .

(٢) نشأ في بيت علم وفضل ، وهو ينتمي إلى بيت الأنصاري ، نسبة إلى الأنصار وإليه ينتسب

كثير . انظر : تحفة المحبين ٧ وما بعدها .

(٣) في المخطوط : « الدراري » وما أبتناه هو الصواب . والدراري : اللآلي ، والدرة : اللؤلؤة ،

أي : أنه صاحب نفائس وكتب قيمة .

ذكر الفتنة الواقعة بين أهل المدينة وبني علي سنة ١١١١ هـ

قال المرحوم العالم الفاضل الخطيب : عبد الرحمن بن حسين الأنصاري المدني رحمه الله تعالى في تاريخه في الفصل السابع في ذكر مشايخ الحرم ، ومن خطه نقلت ما نصه : ثم ولي مشيخة الحرم شاهين أحمد أغا وذلك في حدود سنة ١١٠٨ هـ ثمان بعد المائة والألف وفي أيامه حصلت الواقعة العظيمة بين بني علي وأهل المدينة في حرة بني قريظة سنة ١١١١ هـ أحد عشر بعد المائة والألف ، خرج خلفهم أهل المدينة بالسلاح والعدد والأمداد والمدد ، وأذرعوهم قتلا ونهباً وأسراً وسلباً ، إلى أن أوصلوهم إلى أقصى حرة بني قريظة ، وكان معهم شاهين أحمد أغا المذكور ، ثم إنه أمرهم بالرجوع فقالوا له : إن هؤلاء كفار ولا يفيدنا معهم إلا استصاهاهم ، فغضب وقطع جميع ما معهم من المياه ورجع بأكثر الناس ، فغلب أكثر الناس الظماً ، وحميت عليهم الشمس ولم يلتقوا لهم ملجأ فترجع الأعراب عليهم وخلفهم نساؤهم بالماء يحملونه لهم ، وصاروا يقتلونهم كيف شاعوا ، وأكثر قتلاهم بالظماً ومع هذا أخذوا منهم مقدارهم سيوى من ذهب أولاً ، وأعانتهم الأعراب من كل جهة ، ثم استولوا على جميع أموال أهل المدينة الخارجة عنها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فأصل الفساد كله من مشايخ الحرم ، ووقع بعد ذلك غير مرة منع أهل المدينة ^(١) ، وسيأخذ الله الحق من الظالمين ، ومن كان سبباً لإهلاك المؤمنين ، ولما وصلت الأخبار للدولة العلية عزلوه وذلك في حدود سنة ١١١١ هـ أحد عشر بعد المائة والألف ، ثم ولي مشيخة الحرم فور أحمد أغا وتوفي بالمدينة سنة ١١١٧ هـ سبعة عشر بعد المائة والألف ثم ولي مشيخة الحرم حافظ محمد أغا وفي أيامه كانت قصة الشمامسة العجيبة في سنة ١١١٨ هـ ثمانية عشر بعد المائة والألف وهي المعنية بقول سيدى الوالد من قصيدة هجاها الأفندى عبيد قدك وطائفة القمممجي كما يأتي قريباً إن شاء الله تعالى :

(١) يبدو أنه سقط كلام من هنا ، فالكلام غير تام . والله أعلم .

صدقت نحن الذين صحت خيانتنا بنهب شمامة أم أنتم أفتوني
 خيانة يالها دهماء مظلمة سوادها زادها فوق السوادين

وهذه الشمامة كانت من جملة التعاليق في الحجرة المطهرة ، فترابط ثلاثة
 من أغوات المسجد الموضوعين لحفظه وهم يعقوب أغا جبلي ، وعبد النبي أغا ،
 وعلي إبراهيم وأخرجوها وتصرفوا فيها فوصل الخبر إلى الدولة العلية بذلك ، فعزلوا
 شيخ الحرم وعاقبوهم .

* * *

ذكر قصة العهد سنة ١١٣٤ هـ أربعة وثلاثين بعد المائة والألف

وفي زمن شيخ الحرم أيوب أغا سنة ١١٣٤ هـ وقعت قصة العهد وفعّلوا ما فعلوا وخبرها طويل عريض وهي مذكورة في قصيدة السيد جعفر البيتي ويقال : هي أول قصيدة نظمها لأن ولادته سنة ١١١٠ هـ ، فيكون سنة في هذا الوقت أربعة وعشرون سنة . والله أعلم .

وهذه القصيدة المشار إليها :

المجد تحت ظلال سمر الذبل ^(١)	وظبأ القواضب والجياد القفل
الموديات العاديات ضوايحاً	الصافنات الزافرات ^(٢) الجفل
والخوض في غمرات بطنان النوى	يوم التصادم في القتام المسبل
وتواتر العزمات في طلب العلا	والفوز في أقصى فيافي الهو جل
والفخر ما ترك الأعادى خشعا	رفل المحازم كالجياد الأعزل
بين الفتى وورود أحواض الردى	لقو العلاقم في تراق الحوصل
لا عاش من ترضى المذلة نفسه	طوعا وعن شأو المفاخر يأتلى
تعسّت حياة لا تشاب بعزة	غرباء بين مهابة وتذل
العز أجمل ما اقتناه أولى النهى	والذل بالأحرار ليس بمجمل
من شاء إدراك المعالي فليكن	مثل الهمام الأجد بن الأفضل
السيد الزين الشريف محمد	ذي العزم سبط المصطفى والمرسل

(١) في المخطوط : « الذبل » . والذبل : الدامية يقال : ذبلاً ذبيلاً ، ويقال : ذبلاً ذيبلاً ، وبالمهملة

أجود . قال الشاعر :

طعان الكُماة وضرب الحيات وقول الحواصين ذبلاً ذيبلاً

انظر الصحاح (دبل) ١/١٦٩٤ و (ذبل) ١/١٧٠١ .

(٢) كتب فوق هذه الكلمة : « التافرات » ولعلها من نسخة ثانية .

وابن الكرام الطيبين أرومة
 والحازم المقدام دحاض الردى
 لا غرو فهي سجية مودوعة
 ما زال ينكر في المدينة منكراً
 وتغلب العربان في أطرفها
 وتغافل الحكام عما أبصروا
 حتى أتى الفرج القريب وساعدت
 فاستنهض الأبطال من أنصاره
 يهوى إلى نهب النفوس بهمة
 فتعاهدوا في الله أن يتناصروا
 وحموا حماهم والديار عن العدا
 فتدللت لهم البوادي عنوة
 ولطالما قاسوا ليالي العسر من
 يمسون في حفظ المناثق ^(٢) كمنناً
 فهم الرجال وما سواهم نسوة
 فتشاور الفساق فيما بينهم

أهل الكساء الطاهرين الكُمَّل
 دون العباد بسيفه والمقول
 فية وشيشنة ^(١) لأخزم من علي
 من مرجف أو مفسد أو مخدل
 من كل ناحية وبغى بنى علي
 من جورهم فيها وظلم الأرمِل
 هماته الأقدار بالله العلي
 من كل شهم في الخطوب مدلل
 مقرونة بالنصر مثل الأجدل ^(٥)
 في الدين لا يخشون لوم العذل
 بالبيض والسمر اللدان الذبل
 وتعدّلوا بالجد أي تعدل
 هول يذيب مرارة المتهول
 متختلين لأخذهم في الجندل ^(٣)
 لم يتركوا من زيهن سوى العُحلي
 أن ينقضوا ما أبرموه بمبطل

(١) الشيشنة : الخلق والطبيعة . قال الراجز :

شيشنة أعرفها من أخزم

أي : كأنه عاق ، وأخزم اسم رجل ، ويقال لكل مثقوب مخزم .

انظر : الصحاح (شتن) ٢١٤٦/٥ - ٢٤٧ و (خزم) ١٩١١/٥ - ١٩١٢ .

ملحوظة : كل ما أمامه نجمة هكذا . فهي من حواشي المصنف وتعليقاته .

(٥) الأجدل : الصقر .

(٢) التثق : الزعرة والنقض

(٣) الجندل : الموضع فيه حجارة ، والجندل : الحجارة . ومنه سمي الرجل . والمعنى يا ويل من قد

أوقفته نفسه فهم ، فيصبح في الحديد مكبل

فجرت هنالك صيحة^(١) يرقى إلى
 وطغت عليهم بعد ذلك عصبية الأ
 والأصل في ذا أنهم قد ركزوا
 منعه أرباب الوجاق جميعهم
 زعموا بأن له فساداً سابقاً
 فترافعوا للشرع وانكشف الغطا
 نزلوا وألقوا في المداعين الظبا
 فتفازعت لهم الرجال أخف من
 فهناك ولوا مدبرين وأتبعوا
 وأتوا إلى الحرم الشريف وأغلقوا
 ورموا على الناس الرصاص ، ومارعوا
 وأقام ذاك إلى الغروب وأصبحوا
 فدُعوا إلى أن يرجعوا فتعصبوا
 فقضى عليهم أن تباح دماؤهم
 وتوافق الجمهور قولاً واحداً
 فتبادرت لهم الرجال عوابسا
 فهم بيت المالكي وصفه
 ومشت إلى دَرَوَانَ منهم فرقة
 فهناك صبت للمنون صواعقا

أفق السماء عجاجها بل يعتلى
 غوات مع أتباعهم والجهل
 لعلى قنا^(٢) الغمر^(٣) الزنيم^(٤) الجسكى^(٥)
 أن يشتري فيهم ولما يدخل
 إذ خان قدما في الزمان الأول
 ودعاهم القاضي ليوم مقبل
 من غير مكترث وغير معول
 ورد السهام إلى وتين^(٦) الكلكل^(٧)
 طعناً وضرباً كاللهيب المشعل
 الأبواب واصطعدوا المناير والعلی
 جاه النبي ولا الكتاب المنزل
 متحصنين بحلية المستقبل
 وأتوا بفعل منكر لم يفعل
 هدراً لحدّ المرهفات الفصل
 والنص في طغيانهم نص جلي
 من كل فحل بالثبات مسربل
 ولنا عليهم صف بيت الحنبلي
 فتحصنوا الحمام منه وما يلي
 وتسعرت للموت نار القسطل

(١) كتب في الحاشية : « نسخة هنالك هدة » .

(٢) على قنا : اسم رجل .

(٣) الغمر : الذي لم يجرب الأمور .

(٤) الزنيم : المستملق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه ، أو اللثيم .

(٥) الجسكى : بالكسر الولد الصغير من كل شيء .

(٦) الوتين : عرق في القلب .

(٧) الكلكل : الصدر .

وأمر طعما من مذاق الخنظل
 وقعات جسّاس بقوم مهلهل
 واستخرجوهم منزلا عن منزل
 أحشاؤهم مثل انفجار الدمل
 وجرت دماؤهم كجري الجدول
 للأمر طوعاً خضعا بتدليل
 جنحوا لسلمكم بغير تفعل
 إذ حيث كان أولاك عنه بمعزل
 قد كان رأسا للفساد الأول
 جعل المفاسد سنة لم تجعل
 حبكت عليهم غمة لا تنجلي
 وهو والى درك الجحيم الأسفل
 نحو الشريف لحل ذاك المشكل
 هم والخصوم مع الشهود العدل
 رغما على أنف العدو المُبطل
 غراء لم تدحض ولم تنزل
 أيضا ويحملها بأحسن محمد
 ومشوا جميعا نحوه بتدليل
 عنه وصح القول غير تقول
 فينا بغير تهاون وتمهل
 بالغوث منك وغارة المتعجل^(١)
 وهم إليك بنسبة كالعيل
 عن كل فعل مجمل ومفصل

يوما أشد من الحديد قساوة
 تركوا النواصي شيئا فكأنه
 نقبوا عليهم كل دار عنوة
 وتداركوهم بالردى فتفجرت
 فتصاغرت أرواحهم مما رأوا
 وتحققوا الموت الزؤام^(١) وسلموا
 فأشار قاضي الشرع كفوا أنهم
 فأطاع من منا جميعا قوله
 وتداركوا الخطب الجليل بحبس من
 النائب الجاني ومسعود الذي
 وبلال عنبر رأس كل مصيبة
 وتلاهّم عبد اللطيف فأسجنوا
 ومشت عروض الناس فيهم جملة
 فاهتال منهم وابتغى احضارهم
 ليبين بالإجماع كل مغمم
 وتكون حجتهم هناك قوية
 تأتي إلى السلطان قولا مثبتاً
 فتوافقوا للطوع^(٢) إذ هو واجب
 فإذا أتوه وحققوا ما أخذوا
 فلسوف تأخذه هناك حمية
 يا أيها المولى تدارك كرينا
 فلك البلاد مع العباد وأمرهم
 تأتي ويسألك المهيمن عنهم

(١) كتب في الحاشية : « في نسخة الزمام »

(٢) كتب في الحاشية : « نسخة : فاستمئلوا للأمر »

(٣) كتب في الحاشية : « نسخة : المستعجل »

نأوى له من كل أمر معضل
 لا يرتضى والجور فيها قد ملئ
 فافعل إذا ما شئت أو لا تفعل
 شرفاً وغيرك من مناقبه تحلى
 رجفوه بالفعل الفظيع المشكل
 متوجع من فعلهم بتملل
 مأوى البغاة وكل وغد مضلل^(١)
 تبدو لغير المبصر المتأمل
 إلا لمثل القانت المتبتل
 غضباً وطرفاً جامداً لا يهمل
 في الله بالحق المين المنجلى
 فلأنت تعرف علة المتهلّل
 شعواء لم تبرح ولم تتحول
 ولكان ذاك الأمر لم يتحصل
 ولسوف تقطع في الزمان المقبل
 للحق ، سماً للعدو المبطل
 متسر بلين بنعمة لا^(٢) تبدل
 حقاً وإن الله ليس بمهمّل
 قول المعنف والجبان المفضّل
 أو شدة أو بعض أمر معضل
 خير السورى المدثر الزمّل
 نشر العبير مع النسيم الشمال

فالغوث ثم الغوث إنك كهفنا
 إن المدينة حل فيها منكر
 فلأنت أولى الناس حقاً غيره
 ولأنت من بيت تقدر سره
 لو تسأل القبر الشريف غداتنا
 لأجاب أن محمداً في طيه
 حاشا لمختلف الملائك أن يرى
 الله أكبر إنها لمصيبة
 تالله ما جعل المساجد معكفا
 أف لقلب مؤمن لا يمتلىء
 فاصدع فما تأخذك لومه لائم
 لا ترثين إذا أتوا بتحيل
 لولا النبي أقام فيهم^(١) غارة
 ما أوقعتهم في الويال نفوسهم
 قطعت زناير النفاق بكتبهم
 لازلت يا أهل طيبة نصرة
 في ظل أعتاب النبي وجاهه
 إن النبي له عليكم غيره
 فامضوا على صدق العزائم وارفضوا
 إنا إذا أحنا علينا حادث
 قلنا اعتصام بالنبي وآله
 صلى عليه الله ما نشر الرى

(١) كتب في الحاشية : « نسخة مبطل » .

(٢) كتب فوقها : « فيها » .

(٣) كتب في الحاشية : « نسخة لم » .

وعلى بنيه والصحاب (١) وآله الطاهرين الراشدين الكمل ما رجع الحادى يقول محرّضا المجد تحت ظلال سمر الذبل انتهى .

قال العالم الفاضل الخطيب : عبد الرحمن بن عبد الكرم الأنصاري المدنى رحمه الله تعالى فى كتابه « تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب » .

فأما السيد محمد بن السيد على أبى العزم العادلى : كان رجلا مباركا شيخوه (٢) أهل العهد الواقع بالمدينة المنورة المشهور ذكره سنة ١١٣٤ هـ (أربع وثلاثين ومائة وألف) (٣) فصار له صيت عظيم ، فورد الفرمان السلطانى فيه وفى جماعة العهد الذين كانوا معه ، فستره الله عز وجل بالموت قبل ورود الأمر بقليل ببركة أسلافه الصالحين فتوفى سنة ١١٣٦ هـ (ستة وثلاثين بعد المائة والألف) (٤) ، [سنة ١١١ هـ] (٥) .

وأما السيد عبد الكرم بن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجى : فكان خطيبا ، وتوفى شهيدا مقتولا صبرا بيندر جُدّة العمورة ، قتله باكير باشا بموجب فرمان ورد من الدولة العلية بسبب فتنة العهد الواقعة بالمدينة النبوية وقد أرخه بعض الأدباء بقوله : عبد الكرم شهيدا سنة ١١٣٨ هـ ثمان وثلاثين بعد المائة والألف (٦) . انتهى .

وأما السيد حسن بن السيد عبد الكرم فمولده سنة ١١١١ هـ (٧) وخرج

(١) فى نسخة : « والصحاب كلهم » .

(٢) فى تحفة المحبين : « شيخه » .

(٣) جملة : « أربع ... وألف » ليست فى تحفة المحبين .

(٤) جملة : « ستة ... والألف » ليست فى تحفة المحبين . انظر ذلك ص ٣٥٨

(٥) ما بين المعقوفين إضافة من تحفة المحبين .

(٦) تحفة المحبين ٨٨ .

(٧) فى المخطوط (١١٠٠) والمثبت من تحفة المحبين

من المدينة المنورة مختفياً في الفتنة المذكورة أعلاه ، ودخل مصر المحروسة ، وبقي مختفياً في بيت السيد محمد النحال وإلى أن توفي سنة ١١٤٨^(١) وله تصانيف وخطب وغير ذلك .

قال العلامة الفاضل السيد أحمد بن زيني دجلان المكي رحمه الله تعالى في كتابه : « خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام » ما نصه : ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الأغوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤ هـ وفي مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة أربعة وثلاثين ومائة وألف وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الأغوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البرزنجي المدفون بمجدة المشهور « بالمظلوم » وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها : أن رجلاً من توابع الأغوات يسمى علي قنا أراد أن يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل في العسكرية ، فامتنع من إدخاله كبار العسكر حيث أنه كان في العسكرية وقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد ، وقال أغوات الحرم : لا بد من إدخاله ، وظال النزاع بينهم ووافق أهل المدينة كبار العسكر في عدم إدخاله ، ووقع بالمدينة ضجة واتسع الأمر حتى آل إلى القتال ، وابتدأ ذلك على قنا ومن كان معضداً له من الأغوات وكان معهم بعض من قبائل حرب فصعدوا منائر الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد ، وترسوا بعض البيوت التي بجانب الحرم النبوي وعزموا على محاربه العسكر ، ومن يعضدهم من أهل المدينة فرفع كبار العسكر وأهل المدينة أمرهم إلى قاضي الشرع خوفاً من وقوع الفتنة عند القبر المعظم وذهاب ما في الحجر من الأموال ، وما سيحدث من القتل ، وعَضِبَ الدولة العلية عليهم ، فأرسل قاضي الشرع للأغوات يمنعهم من الفتنة ويطلبهم للحضور إلى مجلس الشرع ، فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضي فسجل عليهم القاضي أنهم عصاة بغاة يجب قتالهم ، فشرعت العساكر وأهل المدينة في قتالهم وضيقوا عليهم من كل جانب ، وقتل في تلك الفتنة أشخاص من الفريقين وعطلت صلاة الجماعة في المسجد النبوي فجنحوا

للسلم ، فامتنع العسكر وأهل المدينة إلا بعد إحضار الأغوات القائمين مع على قنا وحبسهم في قلعة السلطان بالوجه الشرعي ، ثم يرفع أمرهم إلى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد شريف مكة إذ ذاك ، فحضر خمسة أو ستة من كبار الأغوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا في القلعة ، ورفع الأمر إلى شريف مكة المذكور فطلبهم إلى مكة لإقامة الدعوى فوصلوا إلى مكة ، وحضر معهم مفتى المدينة السيد محمد أسعد وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف مبارك لهم مجلساً حضره من جاء من المدينة المنورة ، وقاضى مكة ، وإبراهيم باشا والى جدة ، ومفاتي مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم ، وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الأغوات ، فأمر الشريف مبارك بحبسهم في داره إلى أن يرفع الأمر إلى الدولة العلية ويأتى الجواب ، فجاء الجواب من الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذى حكم به قاضى المدينة على الأغوات ، وأجروا عليهم العقوبات المحكوم بها : من العزل لبعضهم ، والنفى لبعضهم ، ثم ما زال الأغوات يسعون في الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ووسطوا لذلك الوسائط ، ورحل بعضهم إلى أبواب السلطنة بنفسه حتى انتقموا من كثير منهم ، وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة في هذه القضية : العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن السيد محمد البرزنجى وابنه الفاضل : السيد حسن ، وكان الأغوات عرضوا إلى الدولة جميع أسماء أولئك الجماعة الذين اتهموهم في الدخول في تلك الفتنة فجاء الأمر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم ، ففر ولده قبل مجيء الأمر إلى مصر وبقي والده السيد عبد الكريم بالمدينة ، فصعب عليهم قبض بالمدينة فحسن له بعض اعدائه الخروج من المدينة إلى مكة المشرفة والإقامة بها فلما وصل إلى مكة قبض عليه وزير جده أبو بكر باشا وأنفذه إلى جده ، وحبس بالقلعة ثم أمر بقتله ، فقتل خنقا ورمى في سوق جدّة يوماً كاملاً ، ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعاة والتماس ، وغسل وكفن ودفن بجدة ، وهرعت الناس إلى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمه واسعة ، وقبره مشهور بزار ويعرف عند أهل جده بالمظلوم وكان قتله في ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف .

وقال السيد أحمد المذكور رحمه الله تعالى في آخر تأليفه المسمى أسنى الطالب في نجاته أبي طالب في ترجمة السيد محمد بن رسول البرزنجي ومن أولاده السيد عبد الكريم المدفون بجدة المشهور « بالمظلوم » وسبب ذلك أنه من سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف في دولة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد أمير مكة وقعت فتنة بين أهل المدينة وأغوات الحرم ووقع فيها قتال يوماً وبعض يوم وانتشر فساد وشر كثير ثم عرض ذلك إلى الدولة العلية وذكروا أن السيد المذكور وولده السيد حسن وبعض أعيان أهل المدينة حرضوا الناس في تلك الفتنة ، فصدر الأمر من الدولة العلية بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين ، وكان السيد عبد الكريم المذكور من جملة المأمور بقتلهم وكذلك ولده السيد حسن ، أما ولده رحمه الله صاحب كرامات وكان يدرس بعد صلاة الصبح في المسجد النبوي ، فلما أرادوا القبض عليه ذهبوا إليه ليقبضوا عليه في المسجد وهو يدرس ، فلما قربوا منه طمس الله على أعينهم ، فكانوا يسمعون صوته وهو يدرس ، ولا يرون شخصه ، فرجعوا وأخبروا أمرهم بذلك فلم يتزجر فأرسل إليه غيرهم فجاءوا ، وقد تم السيد درسه وذهب إلى داره بباب السلام ، فذهبوا إليه وأحاطوا بداره وجلس ناس منهم عند باب داره وأدخل الله الرعب والخوف في قلوبهم فلم يتجاسروا على الدخول عليه فلما علم السيد أن فكأكه منهم لا يمكن إلا بالخروج من المدينة إلى مصر ، تطهر وتوضأ وصلى ركعتين واخذ قبضة من التراب فخرج عليهم وهو يتلو شأهت الوجوه شأهت الوجوه ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ ^(١) ونثر على رءوسهم التراب وهم لا يعلمون ، وخرج من بين أيديهم وهم لا يبصرون ، ولم يعلموا له خبراً حتى وصل إلى مصر وأتاهم خبوه ، فأقام بمصر مدة ودخل الجامع الأزهر واجتمع بالأكابر من العلماء وألف كتابه : « نفثة المصدر » وهو كتاب لم يؤلف نظيره في : الفصاحة ، والبلاغة ، والقصائد النعتية النبوية ، والكلمات الحكمية ، سلك فيها طريق القوم من السادة الصوفية ، مشيراً إلى ما حصل له من الكدر وما ذاقه من الألم والفراق والبعد من الحضرة

النبوية ، وأشار فيه إلى هذه القصة وأن النبي ﷺ أشار إليه بالخروج إلى مصر وأن يخرج عليهم وينثر على رؤوسهم التراب وأنهم لا يبصرونه ، نظير ما وقع له ﷺ عند الهجرة إلى المدينة ، ثم عاد بعد ذلك إلى المدينة .

وأما والده رحمه الله فصعب قبضه بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة إلى مكة المشرفة والإقامة بها ، فلما وصل إلى مكة قبض عليه ^(١) الوزير أبو بكر باشا وأنفذه إلى جدة وحبس بقلعتها ثم صدر الأمر بقتله ، فقتل ختقا في ليلة الثامن من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف ورمى في سوق جدة يوما كاملا ، ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس ، وغسل وكفن ودفن بجده وهرعت الناس إلى جنازته ^(٢) ، ولقب بالمظلوم رحمه الله رحمة واسعة .

ذكر في « الروض الأعطر » ما نصه : « ثم عقب ذلك بيسير جاء الأمر بعزل الوزير المذكور فخرج متوجها إلى الأستانة ، وركب مع من معه في سفينة من جدة ، فبعدها حلوا شراعها وجرت بهم غير بعيد أتت ريح عاصفة فأغرقه الله ولم ينج منهم إلا قليل .

قال : هكذا أخبرني به بعض أهل العلم من أهل جدة سماعا عن غيره من الثقات . انتهى .

وقال السيد جعفر البيهقي المدني رحمه الله تعالى في ديوانه لما قتل باكير باشا السيد عبد الكريم بن السيد محمد رسول البرزنجي بجدة سنة مائة وألف وثمانية وثلاثين أرخته بقولي :

يا بن عبد الرسول يرحمك الله وقدست ميتا وفقيدا
أسوة المسلمين أنتم جميعاً في جميع البلا قريبا بعيدا
إن قُتِلْتُمْ ظلما فغير عَجيب قد حكيتكم آباءكم والجُدودا

(١) في المخطوط : « قبضة » .

(٢) توجد بعد هذه الكلمة عبارة : « للتبرك بها » وهذا من الأمور الشركية التي تاباها شريعتنا

الإسلامية القراء والكتاب والسنة الصحيحة ، وهذا من الأمور البدعية .

والذي قد شقوا بكم وسعدتكم
 ما برحتم مقسمين قتيلا
 نحن نبكى الأحياء منكم قديماً
 قتلوكم وقبلوا كسوة التنا
 قتلوكم ظلما وصلوا عليكم
 لم يكن واحد يزيد عليكم
 أسوه المسلمين أنتم جميعا
 فسلام عليك مت سعيداً
 عام حزن قتلت فيه فأرخـ

خسروا حيث أرحمكم شعوداً
 أوتسلياً أو موثقاً أو طريدا
 لا تظنوا هذا البكاء جديدا
 بوت من قبر جدكم والحديدا
 عجباً ما نرى عليه مزيدا
 بل نرى دهركم يزيدُ يزيداً (١)
 في جميع البلاد قريبا بعيدا
 مثلهم في البلاد وعشت حميدا
 ساه عبد الكريم مات شهيدا (٢)

وقال السيد جعفر المذكور رحمه الله تعالى وقلت أرني المرحوم السيد
 حسن بن السيد عبد الكريم البرزنجي المتوفى بمصر مختفيا رحمه الله تعالى رحمة
 واسعة :

يابن عبد الكريم قدرك أعلا
 حسن الاسم والفعال جميعاً
 أنت ابن النبي وابن علي
 بيتكم سيد البيوت جميعا
 بيت تقوى وحكمة وعلوم
 قدست روحك الشريفة روحا
 وسقت أدمعى بمصر ضريحاً
 صورة مت نائياً وغريباً
 قد رثيناك قبل موتك لما
 فزت بالمحنتين بالجور والطا

عن رثاء فيه نردد فضلا
 أنت فيما نبديه قولاً وفعلاً
 وكريم الآباء فرعاً وأصلاً
 ولكم في العلا السهام المعلى
 أعرقت في الكمال بعداً وقبلاً
 وهواها الرضى من الله نزلاً
 لك والمعصرات طلاً وويلاً
 والرفيق الأعلى اتخذت محلاً
 ساء رأى الزمان فيك وزلاً
 عون للشهيد جوراً وقتلاً

(١) البيت فيه تورية .

(٢) كتب بعد هذه الأبيات : سنة ١١٣٨ هـ .

ولعل ذلك يكون التاريخ الذي قيلت فيه هذه القصيدة .

يابني السيف مثل قول علي
 حَبِّدَا خصلة تَحَقَّقْ وصفاً
 هذه دار محنة وابتلاء
 سنة سنها الأقارب فينا
 حسد الناس فضل ربك فيهم
 ليّتها لو تكون رأساً برأس
 يا فقيداً فقدتُهُ وسروري
 أنت في دفتر المظالم تالٍ
 جبر الله قلب كل كسير
 وسلام عليك في كل حين
 أبداً كلما أباح زمان

انتهى .

قلت : لم يذكر الخطيب عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ علي الأنصاري
 المدني رحمه الله فتنة بك بشير أغا شيخ الحرم فأحببت ذكرها هنا تماماً للفائدة .

* * *

ذكر فتنة بك بشير أغا سنة ١١٤٨ ثمان وأربعين ومائة وألف

وفي زمن شيخ الحرم بك بشير أغا وقعت فتنة عظيمة بين أهل المدينة وأغوات الحرم فأدخل شيخ الحرم بك بشير أغا الأعراب من حرب المسجد الشريف النبوي وأغلق أبوابه ، وأطلعهم على المنائر فصاروا يرمون بالرصاص على الناس ويصيب ذلك جميع من حول المسجد الشريف ، واستمر ذلك خمسة وأربعين يوما ، وهي مذكورة في قصيدة السيد جعفر البيتي فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال المرحوم السيد جعفر البيتي في ديوانه ما نصه :

وقلت على لسان أهل المدينة المنورة شكاية إلى الشريف سعود بن سعيد أمير مكة المشرفة وإنهاء لضررهم الواقع عليهم من الفتنة الكائنة سنة ١١٤٨ ثمان وأربعين ومائة وألف .

قفوا تنظروا آثار ما صنع الظلم
قفوا بالرسوم الدارسات فرما
قفوا نشتكى ما قد أصاب فإنه
على كل دعوى في الظلامة حجة
إلى عدلكم يا آل زيد توجهت
إليكم يساق الأمر والنهى فى الورى
إليكم وإلا فالسلام على الحمى
سلوا فلسان الحال من كل مسلم

وَجُوسُوا خِلَالَ الدَّارِ تُبْيِكُم الأَكْمُ^(١)
تَحَقَّتُمْ منها وما نطقَ الرِسْمُ^(٥)
عظيم ، وإن الأمر حادثُهُ ضخم
يصدقها التحريق والهدم والرّدم
وجوه شكايانا وعندكم الحكم
وأنتم ملوك الأرض والسادة الشم
إذا حامت الأعداء عليه ولم تحموا
أصيب بيلوى عنده خير^(٥٥) جَمَّ

(١) الأكم : هى المواضع أو التلال والهضاب . القاموس (أكم) ٧٤/٤ .

(٥) الرسم : أثر الدار وهو هنا مبالغة .

(٥٥) خير : شاهد .

وأولى بنعت السقم من مسه السقم
لقينا فعند الدار من أهلها علم
قريبا فمن لقياه في وجهها وسم^(٥)
ذراها وكيف النهب والهتك والغنم
إلى غاية ينحط من دونها النجم
إلى هذه الأخرى تضاف وتنضم
لفاقرة أسبابها الجور والغشم
بأيديهم ما أخربوها ولا هموا
ولولاهم ما كان عندهم عزم
على البغى ذاك المال فاجتمع الإثم
عليهم من الأنفاق أعقبا الغرم
على عرضه الا الدنى والقدم
وشقوا عصا الإسلام جهرا وما لُموا
له وهي لا تحفى على عاقل وهم
نَفَيْتُمْ لهم عن مبتدا حريكم علم
وقطعتم في السوق من لا له جرم
وحاربتهم من عنده حريكم حتم
على الفتنة العمياء من أنها تنمو
وتعصون إلا الحرب أم أنتم صموا
يراه عيانا فيكم من له فهم
أمر لها في الدين مُذْ صَدَرَتْ ثلم
يُرْمُ به شعث الأنام وَيَلْتَمَّ
العناد ولم يبرح إلى بدعة سما
أجيب عسى أجدت عسى نفذ السهم
أرامله حتى أضر بها اليتيم

سلوا عن حديث المبتلى من بلى به
سلوا كل دار بالمدينة ما الذي
سلوها عن الهتك الذي قد أصابها
سلوها عن الأعزب كيف تسنمت
وكيف ارتقوا فوق المنائر وانتهوا
وكيف أعيدت وقعة الحرة التي
يزيدية ردت وحقق أنها
ولولا رجال يخربون بيوتهم
وما عزموا في ذاك إلا برأيهم
هُمُ جَمَعُوا مال الحرام وأنفقوا
ولله كل الحمد إذ كان حسرة
ولم ير قدما من يعين بما له
أعانوا على السلطان أعداء ملكه
وقد زعموا أن الحمية منهم
فقل لهم هل كانت السنة التي
وهل حضروا لما غدرتم عشية
وصلتم جميعا بالبنادق بعدها
وهل طلبوكم للشريعة خيفة
وهل كان داعي الصلح يدعو فتسمعوا
وما ذاك إلا عن هوى وتفرض
إلى الله نشكوا ما أصاب وإنها
عسى في خبايا الدهر نصر معجل
على رغم من يهوى الفساد ويتغنى
عسى دعوة المظلوم حين دعابها
عسى حق مقتول أصيب ويتمت

لعل العذارى المحصنات يراهم
 عسى رافع هتك المحارم دافع الظلا
 عسى نافذ الأحكام والأمر فيصل
 ومن غير مسعود يساعد بالمنى
 قريع العلامك الأباطح سيد الجحاح
 وقد جاء قال الخير منه مساعد
 وياحبذا يعسوب ملك مقدم
 لك الخير والبشر لديك فإننى
 فياغوث ملهوف الفؤاد ومنتهى
 وآمن مخوفات البلاد وملتجى ال
 أعد نظرا في الحال والحادث الذى
 وفي كل مسكين فقير ووالد
 وأرملة جاءت ثلاثين ليلة
 وقد بلغ السيل الزبى ^(١) وتضرمت
 خذا الأمر بالمعروف واحكم بما ترى
 رضينا بما ترضى من الأمر كله
 لك العفو والحلم الذى أنت أهله
 فما صنعوه غير خاف وظلمهم
 فلا تلتفت للعدر منهم فإنه
 ولو صدقوا لم يستبدوا برأيهم
 ولكنهم فى زعمهم أن حكمهم
 وقالوا كثيرا مثل هذا وإنه
 لقد رضعوا در الحرام وإنه

غير على العورات ذو نخوه شههم
 ثم عدل بالرعية بهم
 له نظر أعلا وآراؤه حزم
 ويرجى وذاك الماجد البطل القرم
 جح من تعنو لعزته البهم
 شبيه اسمه ياحبذا الفال والإسم
 له الصدر قدما مثلما قدمت بسم
 أشم رباح النصر إن صدق الشم
 المراد وجالى المهم إن عظم المهم
 عباد ومن فى عدله لهم قسم
 جرى وانبرى من عظمة اللحم والعظم
 حزين ومولود أصيبت به الأم
 وعشراً بها الخوف المبرح والعدم
 جحيم وعنى قد ذاب من حرها الجسم
 وشمر لحسم الداء ينفعنا الحسم
 لنا وعلينا لا إباء ولا رغم
 ولكن فى العاصين لا يُحمد الجلم
 شهيد عليهم عندك العرب والعجم
 بقايا خداع جرحه ليس يندم
 لأمر فظيع غيه العار والذم
 إليهم ولا لأمر عليهم ولا حكم
 قبيح وأولى من إباحته الكتم
 عسير عليهم بعد طول المدى الفطم

(١) فى المخطوط : « الزبا » تصحيف وهو مثل يضرب حينما تكون الأمور وصلت إلى المنتهى

والزبية الراية لا يملوها الماء .

تصام ولا عند الملوك بها علم
 إذا ما شكوا ظلما فكلهم بكم
 وكيف يرجى العدل والحكم الخضم
 مصاييح في الظلماء يحى بها الظلم
 وما فعل التدبير الحزم والجزم
 فكل ليالينا وأيامنا سلم
 على الناس يروى ذلك النثر والنظم
 عليكم وفيكم يحسن البدء والختم

وأعظم بلوى نالت الناس أنها
 يخافون فرمانا على غير موجب
 إذا حاولوا الإنصاف لم يسعفوا به
 بقيتم لنا يا أسرة الهدي إنكم
 جزا الله كل الخير حُسن صنيعكم
 إذا دام فينا حكمكم والتفاتكم
 لكم غررُ الأفعال من كل صالح
 على جدكم أزكى صلاة وبعده

* * *

ذكر فتنة عبد الرحمن أغا الكبير سنة ١١٥٥ خمس وخمسين ومائة وألف

قال الخطيب عبد الرحمن بن حسين الأنصارى رحمه الله تعالى : ثم تولى مشيخة الحرم عبد الرحمن أغا الكبير وذلك في سنة ١١٥١ إحدى وخمسين بعد المائة والألف وعزل في ١١٥٦ ست وخمسين بعد المائة والألف ، وتوفى بمصر سنة ١١٦٢ وهو الذى صارت في زمنه الفتنة العظيمة الشهيرة بفتنة كابوس ؛ وسبب ذلك اختصار على ما فهمناه من أفواه ثقات الناقلين إلينا هذا الخبر ومن قصيدتى : السيد جعفر البيتى ، والشيخ محمد سعيد سفر أن عثمان بيك أتى بمال الغلال ، فأخذه ومنع كل ذى حق حقه ، وكان كتحذا نوبجتيان قديم السيد أحمد كوافى وكتحذا القلعة محمد سعيد انقشارى وكتحذا الأسباهية عبد القادر ظافر فوقعت المداحلة بينهم ولم تزل تنامى نوامياها وكان حسن كابوس من وجاق النوبجتيه له كلمة نافذة فهجموا يوما على القلعة وأثاروا الحرب بعد أن تجمعوا عليهم جموعا لا تحصى وأغلقوا أبواب البلد وتفرقت كل جماعة منهم ناحية فقالوا لهم ما الخبر وسعوا فى الإصلاح بينهم ، فقالوا مطلوبونا ستة أنفس إما تقتلوهم أو تجلوهم ، فأخرجوهم وأجلوهم عن المدينة إطفاءً لنار الفتنة منهم : عمر زكى كتحذا القلعة سابقا ، ومصطفى أودباش ^(١) كتحذا نوبجتيان ، ومحمد مراد كتحذا الإسباهية ، ثم لم يكتفوا بإخراج الستة حتى أخرجوا ثمانية عشر رجلا ، وكتبوا بينهم حجة شرعية على الصلح والإصلاح والإعانة على تقوى الله ، وكتبوا عرضا على مقتضى ذلك للدولة العلية ، فجاء فرمان على مطلوب شيخ الحرم ، فزادت شوكتهم وعظمت صولتهم ، وابتداء ذلك سنة ١١٥٥ خمس وخمسين بعد

(١) قال صاحب تحفة المهين : « وأما مصطفى المزبور فنشأ على طريقة والده المذكور ، وفاقه ، وكان بطلا شجاعا مشهورا مذكورا وصار كتحذا النوبجتيه إلى أن توفى سنة ١١٧٢ مقتولا برصاصة بقرب العنبيه وهو راكب على فرسه فسقط ميتا والقصة مشهورة

المائة والألف ، فأرسل طائفة ممن يميل للجلوية يجرضوهم على المجبيء إلى المدينة ، وأن يهجموا [على]^(١) القلعة وهم لهم أعوان إذا حلوا فيها ورأسهم الصالحى ، فلما كان ليلة الأحد واحد وعشرين من جماد الثانى سنة ١١٥٦ ست وخمسين بعد المائة والألف تسوروا عليهم القلعة بين العشائين ، وأتوا إلى باب القلعة من غير أن يشعر الموكلون به وبها وأغلقوه ، وكان كثير منهم خارجه فظنوه أن الشبان تلعب ثم توجه أحدهم إلى بيت الكتبخذا وأكمن جماعته وطلبه فخرج إليه مترفها فشد عليه الكمين وقتلوه ، وقتلوا أخاه همزة فأحسن بذلك ولده حسين وكان بطلا شجاعا وخرج بسيفه فقط لأنه لم يظن ذلك وتجاول معهم ساعات ، وضاروا بترادفون عليه ذرافات ذرافات ، ومع هذا لم يتمكنوا منه وقد جذع فيهم كيف شاء إلى أن قتل الصالحى ، وكان رئيسهم فخذلوا ووهنوا وخافوا الفضيحة .

كل ذلك ولم يعلم بهم أحد ممن هو خارج القلعة ، فختله بعضهم وعرقبه ، فصار على ركبته يحمل عليهم الكرة بعد الكرة وهم يفرون من بين يديه وهو يضرب من شدِّ ويغرى من فدِّ إلى إن ذهب بعضهم إلى العين وبل عباه^(٢) بالماء ، ثم ختله ورمأها على كاهليه ورأسه فحينئذ أطفوا نور نبراسه ورزقه الله تعالى الشهادة وله فى الآخرة إن شاء الله الحسنى فزيادة ، ولما سمع بهم من يميل لهم أتوا إليهم أفواجا ، ووقعت بينهم وبين أهل الحارة وقعات عظيمة ، وقتلوا حسن كابوس فحينئذ عظم الأمر على أهل الحارة ، وأرسل شيخ الحرم للدولة العلية يعرفها بذلك ، وكذلك أرسل لو إلى جدّة ، والشريف مسعود ، فأرسل الشريف مسعود جرده ودس إلى أميرها بأن شيخ الحرم إن لم يطع أهل القلعة فى مطلوبهم من إخراج الخمسة الأنفار فانت معهم عليه ، وبلغ ذلك شيخ الحرم فأرسل إلى هزاع شيخ حرب واستماله بالمال بأن يرد عنه الجردة فجمع من قدر واستدعى بهزاع وعييد مشايخ حرب ومكثهم من المدينة غير مرة فأخربوها ونهبوها وجلا أكثر الناس إلى المناخة ، واستمر الحال على ذلك إلى رجب ، فأرسل الشريف مسعود بن سعيد أمير مكة فى أمر الصلح بينهم ظاهرا وكان مباطنا لأهل القلعة فمشت بينهم الهدنة إلى مجبيء

(١) ما بين المقوفين إضافة لازمة .

(٢) العبادة والعباية : ضرب من الأكسية ، والجمع العباء والعباءات الصالح (عبى) ٢٤١٨/٦ .

الحاج ولما وصل الحاج الشامي إلى المدينة أتى الفرمان بعزل عبد الرحمن أغا الكبير شيخ الحرم ونصب عبد الرحمن أغا الصغير نائب الحرم وخزندار سابقا في السنة المذكورة وهي سنة ١١٥٦ ست وخمسين بعد المائة والألف وذلك بما ذهب للدولة العلية من العروض من الشريف وغيره ومن القصائد الاستنجاجية مثل قصيدة الشيخ محمد سعيد مفر وقصيدة السيد جعفر البيتي .

قال : السيد جعفر البيتي رحمه الله تعالى :

بكى على الدار لما غاب حاميا وجرَّ حُكْمها فيها أعاديا
بكر لطيفة إذ ضاعت رعيتها وراعها بكلاب البرراعيا
بكى لمن هاجروا بالكُره واحتملوا عنها وكانوا قديما هاجروا فيها
واها لكربتها واها لغربتها واها لجائعها واها لعارها
واها لحالي لما قمت أنشدها الدارُ أطبق أخراسَ على فيها
يا دمنة ^(١) سلبت منها بشاشتها والبست من ثياب المخل باقيا
وقفت فيها أعزبها لكربتها أعجب ^(٢) على جلدى أنى أعزبها
فمن معينى بأحزان يضاعفها على من لعيونى من يواسيا
يا صاح ناد البواكى وابك أنت معى ولا تصير نفس لا تُسليا
ما مثل طيبة ما مثل الذى لقيت من الأسمى ^(٣) فبمن نرجو تأسيا
حاشا لمختلف الأملاك من غير الدُّ نيا وما صنعت فيها لياليا
يا بى الفداء لها من كل حادثة لو كان ينفعها أنى أفديها
وغاية الجهد أن أبكى لها أسفاً حتى تجف دموعى فى مآقيا ^(٤)
كان التغزل فى جيران ذى سلم واليوم قد كثرت فيها مراثيا
هى المدينة أمست بعد عزتها كسيرة غاب عنها اليوم حاميا
ملهوفة كبدها حرا مقطعة محروقة فاسقها إن كنت تسقيا

(١) كعب فى الحاشية : « نسخة بالبلدة » . والذمعة : المنزل الذى شد عنه أهله .

(٥) أى أعجب من عزائى لها وأنا أحق بأن أعز .

(٢) فى المخطوط كعبت : « الأسماء » .

(٣) كعب فى الحاشية : « نسخة أصاقيا » . ومآقيا : أطراف العين .

أقل من أدمعى فيها تروها
 من مُنعمٍ بوفاءٍ منه يسديها
 عشنا إلى أن رأينا ما ينكبها
 عن كربلاء ويوم الدار يلهيها
 ويا سعادة من أمسى يراعيها
 في كشف عورتها من يغطيها
 دَارٌ أتى هدمها كف بانيتها
 على الحقيقة أمليكم وأروها
 خمس وخمسون أحصاهن مُحصيا
 تبغي على الأمة الجلا وتثويها
 تلوح في جُلهم والعجز يُخفيها
 عثمان بيك به للناس يوفيا
 على الرعية يُقصيها ويُلوها
 وليتهم تركوا الدعوى وداعيا
 ناهيك بالضر والبأسا وناهيا^(٥)
 عقارب^(٦) الكيد غاديا وساريا
 يسعى بعلته معهم يداويا
 ليلا وجاء العدى فى زى قاريا
 وسط التيازير تخفيها وتطويا
 وذلك المكر والترتيب خافيا
 بنادق البغى تهوى من مراميا
 من ستة وولى الأمر يبغيها
 وذلك القدر يكفيكم ويكفيها

ما قمت فى نصرها حق القيام فلا
 ما فى الحياة ولا فى العيش من أرب
 عشنا إلى أن رأينا ما يُصدعُها
 مصيبة عرضت للمسلمين غدت
 فى شقاوة من أمسى يروعها
 يا رحمة من قلوب المؤمنين لها
 أشدُّ دارٍ خراباً لاعمارَ له
 قصوا العجائب عنى وانقلوا خبرى
 وذاك فى مائة والألف يتبعها
 كان الأغاء اصطفى فى السر طائفةً
 لَموا عليه لأحقادٍ مُقدِّمةً
 وأصله فى الأغاء مال الغلال أتى
 فضمه منه سرا ثم أنكره
 ثم استقر به من بعدما شغبوا
 لكن دعاهم إلى ما كان ضرهم
 فذب منه عليهم مع عصابته
 وجاءهم كل من فى قلبه مرض
 ورتبوا صُحفاً تُقرأ لقلعتهم
 وحملوا ففة أخرى بنادقهم
 والناس فى عقله شتى مفرقة
 وأصبحوا غلقوا الأبواب^(٧) ثم رموا
 فقيل ما الأمر قالوا نشتكى ضررا
 إما القتال وإما تخرجونهم

(٥) معنى ناهيك : أى خذ النهاية .

(٦) هى استعارة .

(٧) الأبواب : أبواب المدينة .

نعاهد الله إنا ليس نؤذيها
 ظلما على الناس تبيكهم بواكها
 تضمنت كل زور في معانيها
 شهود جوءب لادرت مساعيها
 لكنها الشهب خرت مع دَرَارِهَا
 كى يُسْعِدُوهَا بِفَرْمَانٍ يَقْوِيهَا
 يَجْنِي على الناس طَرْدًا أو يَجْنِيهَا^(٥٥)
 دنياهم وهى من إحدى دواهيها
 وجاءت الناس أرسالاً قوافيها
 يَدْرِي^(٥٦) التلاف ويسعى في تلافيها
 أرواحهم بلفت منها تراقبها
 أَنهَوْا وَأَنْفُسُهُمْ نَمَتْ أمانِهَا
 شهادة الزور تخفيها وتبديها
 منها جميعا فإني لا أسيها
 أَلَوْكُمْ النَّصْحَ جَهْدًا فِي تَوْقِهَا
 باب الولاية بظلم الناس تفتيها
 لكنهم فسدوا في بعضهم تيا
 حوادث بينهم تنمو نواميا
 مردان قلعة عنهم مع مواليا
 بكفره في أمور كان يأتيا

ثم البقية أيضا بعدما ذكروا
 فكان ذلك عام الحزن إذ خرجوا
 وكتبوا حجة تحوى فسادهم
 فأكدوها بأمهار من الفقها
 قالوا ولا تَنْتَطَحَتْ شاتان قد صدقوا
 وعرفوا الدولة العليا بما صنعوا
 ومُرت السنَّةُ الشَّهَاءِ وَحَاكِمُنَا
 أيدي سبًا مزقتم^(٥٧) في البلاد يَدَا
 قصيدة في البلا كان العروض لها
 وكل ذاك ومسعود^(٥٨) ملىكهم
 وأقبل الحج والإسلام كلهم
 وجاء فرمانهم طبقاً لموجب ما
 والذنب والله حقا ذنب من شهدت
 أهل الطيالس إياكم خذوا حذرا
 إياكموا هذه الأفخاخ إني لا
 عصابة خلقت للغش والترمت
 واستقبلوا الفتنة الأخرى بحالتهم
 حتى طما الجور من نحو الأغا وبَدَّتْ
 ولم يزل يتداعى الأمر وافتترقت
 وأصبحوا قتلوا كابوس إذ شهدوا

(٥) الشهَاء : البيضاء .

(٥٥) يجنيها : يجعلها جانية أى مذنبه .

(٥٥٥) فيه تلميح إلى قصة سبأ .

(٥) مسعود بن سعيد .

(٥٥) يدري : يدفع .

(٥٥٥) كابوس من طرف نوبختيان قديم

وعاد مبعدها في الحال يديها
كُتَيْبَةً وجماعات مُعَيَّبَةً
لفتنة قد أراد الله يقضيها
أشياءه وأبت إلا تماديا
على المدينة كي ينفي أهلها
البعي قادمها والظلم تاليها
سفينة الجور يُجرها ويُرسيها
فاندك أسفلها منها وعاليها
بحكم طاغوتها فانجر طاغيها
عقبى عذاب ألم في توليها
أفعالكم صدقتها في دعويها
قتلا ونهب وهدما في صياضها
أيام مسرف المرى باغيها
في فتحها يتغى رضوان بارها
رثوا لذلتها في كف مدليها
وعشرة باقتضاء الجور يجليها
على الرعية حكما ليس يرضيها
وهدنة الجبر شرط لا يواتيها
والناس مضمرة أشيا تعميها
تحققت غِشٌّ من كان يُغويها
تسعى الأفاعى وترق في مراقبها
أعادت الحرب بكرا في بحارها
بها وعاد لتلك الحرب يُنشئها
هناك حُرمة هاديها ومُهديها
فوق المنائر ترمى من أعاليها

وأرسلوا طلب الناس التي خرجت
واستقبلوهم فرد الباب دونهم
وأخرجوهم فثار الشر بينهم
وأرسلوا للأغا للصلح فاضطربت
وارسلوا طلبوا هزاع ينصرهم
فجاءهم بجنود كالحصى عددا
وشر الحاكم المذكور يسبح في
جَرِّ البوادي لها من كل ناحية
وحسنت علماء السور عثرته
ومنهم من تولى كبره وله
قالوا لنا نسبة الأنصار قلت أجل
ستين يوما أقاموا في محاصرها
أيامُ بؤس حكمت أضعاف ما صنعت
كأنها دار كفرٍ قام مجتهداً
وأنزلوها على حكم العدو ولا
واسفر الحال معه في ثمانية
وكتبوا كتباً في الصلح واحتكموا
لكنها هدنة جاءت على دَخْن
وسار هزاع^(٥) والأحوال فاسدة
وكان في قلعة السلطان طائفة
فأطلعوهم إليهم في الحبال كما
فيا لها الله بسطامية وقعت
مات الأعداء ومن في حزبه كَمَدَا
فأدخل الحرم الأعراب فانتهكت
وأصعدوها ولا خافوا ولا اعتذروا

(٥) هزاع من فزاعة حرب بل كبيرهم .

وصاحب الأمر باق في تعصيه
 يصرف المال مال المسلمين على
 وأصبح الحرم العالى وروضته
 لا جمعة لا صلاة لا أذان بها
 فصاحت الناس شرع الله وابتدروا
 وبادروا مجلس القاضى لينظر في
 فصدر الحاكم الشرعى نحوهم
 فلم يردوا خطابا عن رسالته
 وترسوا مسجد الهادى وثار به
 فيا لها زلة منهم وفاقرة
 وقامت الحرب فيهم ترمى شررا
 وصاحب القبر محزون بما صنعوا
 وامتدت الحال بالبلوى إلى رجب
 فسار من عند مولانا الشريف لنا
 فسار هزاع من نحو الأغاء لها
 فصدما وأتى منصور يسبقه
 وجاء هزاع يوم النصف واستعرت
 وقسم البدو نصف عنده قعدوا
 وأضحت الدار قفرا لا أنيس بها
 أباحها البدو نهب ثم أحرقها
 أباحها وهو يرجو من حماقته
 لكنه صان خير الخلق حوزتها
 وحقق الله خذلان الذين بغوا
 وسيروا هدنة للحج وانتظروا
 وارتد هزاع مفسولا وعصيته
 واصبح الحاكم المغرور يقرع في

معها على الناس يُشليها وبغيرها
 تلك العصابة يسقيها ويغذيها
 كالجبخانة بالبارود يحشيها
 إلا البنادق ترمى من نواحيها
 إلى الخصومة قاصيها ودانيها
 فصل القضا ولنار الحرب يطفيها
 رسالة تقتضى الدعوى وتحويها
 إلا الرصاص جوابا في حواشيها
 بين الفريقين حرب لست أحكيها
 جاءت على رغم مقتيها وقاضيها
 ستين أخرى يد الأعراب تذكىها
 غيظا لأمته ممن يعاديها
 ومنتهى صفر قد كان باديها
 عساكر لتلافيها يُوالىها
 يردها دوننا قهراً ويرديها
 إلى المدينة فى شعبان يحمىها
 مراجل الحرب والملعون يُعليها
 والنصف عند الأغا مع عيد يقمىها
 الجنُّ تَنُدُّبُها وَالْأَنْسُ تَرْتِيها
 وراح يشقى بها حقا ويشقىها
 ثواب أصحاب بدر فى مغازيها
 وأصبح الستر غاطيها وضافيها
 جميعهم واراد الله يعليها
 فيها الجواب وساعاهم مساعيا
 بدأ وحضراً تغطىها مساريها
 سن الندامة بما كان يوليها

ان الأغا سوف يجليهم ويخليها
حتى أصرح عنها وأكسنيها
ومن يجيب نداها من يلبها
أعطت محاسنها الدنيا لماضيها
أيام صبيانها شابت نواصيها
ويوم جنكيز بالتاتار يرميها
في مصر والقدس تقريبا وتشبيها
في شاحهان الموالى مع موالها
شأن المدينة من أيدي شوانها
قصت ملاحمته شيئاً لتساويها
وغمة ليس إلا الله يجليها
صوتى إذا قمت من كرى أنادها
مطروفة لطمتها كف واليا
قد كاد لولا دفاع الله يعمها
وتل الأمانة ممن لا يؤذيها
عن المدينة حتى قام ناعيا
وأصبح الكل جافينا وجافيا
من كان يمنعها عنكم ويشيها
نقارع البدو فيها أو نذارها
لكن عدته من البلوى عوادها
فليس ذا أول الشكوى وثانها
بشير بيك^(٥) فجاء هذا يسويها
دعوا الأجانب^(٦) أعطوا القوس بارها
أجزاً^(٧) وثار لأعداكم يجازها

والأمر لله مكتوب على يده
يا للكبائر من أدعو فيسمعي
من للمدينة إن غصت بريقتها
ما أفقر الصيد إلا بعد مسلمة
عادت لنا سيره التيمور في حلب
ويومه وهو في بغداد يهتكها
ويخت نصر من قبل الذى ذكروا
ويوم تهماز ما أدراك ما صنعت
شأن عظيم مضى في الجور أعظمه
حوادث ما رآها دانيال ولا
يا شدة ليس إلا الله يكشفها
أين الحجاز وأين الروم تسمع لى
يا آل عثمان عين في ممالككم
عين لدولتكم عين لدينكم
آمتموها فضاعت عنده سفها
نمتم ولانوم عبود الذى ذكروا
هنا عليكم وهانت بعد عزتها
أحوالنا علمتها الصين وأعجبا
خمسون عاما لنا والظلم يلحقنا
ورام سعد بن زيد قطع دابره
سلوا عن العهد عما كان سببه
غضضتم الطرف عن أشياء أبدعها
سوسوا البلاد بعين من نفوسكم
لو أن مسعود قلدم له عملا

(٥) كانت فتنة بشير أغا في آخر سنة ١١٤٨ هـ .

(٦) أي جماعة الأغوات .

(٧) أجزاً : كفى .

تحت الإشارة لا ينبغي تعديها
 جوابكم عن أمور كان ينهيا
 وادى الغضا وبوادي الرمل^(*) ساقيا
 على التساهل والإغفال تمويها
 ولا جبا ساحة الأفرنج جابها
 يُغنى الملوك إذا شاءته تُنبيها
 وابن الرشيد^(**) ومن نادته تُنبيها
 على الممالك إعظاما وتنزيها
 عم البلا وطفى الطوفان عاصيا
 إلى العراق يمانها وشاميا
 قد وجهوا لكم الآمال توجيها
 على الملوك وهنأها مُهنيا
 تذب عنها أعيادها وتحميا
 تفرغت وغدت لا شيء يُشفيها
 من العدا فهو من عُقبى تأسيا^(*)
 يُنهي إليكم قضايانا ويُعلميا
 بالقتل والنهب فيها من بواديا
 أسرارها ربما التّسأل يُفشيها
 بالبخس قد باعها من كان يشريها
 عورتها وسبوا من جاء يسبها

لكنه راح مربوطا على يده
 يُنهي إليكم وبعد الحول ينظر في
 ما أبعد الورد إن بات العطاش على
 تا لله لو كان هذا الدين مبدؤه
 ما صدق الرسل في الدنيا مُصدقها
 سلوا ففى كنى قباد^(**) الفرس معتبر
 سلوا ففى عليج عمورية نبأ
 وابن تلك من الدار التي شرفت
 ما أحوج الأرض للفتح الجديد فقد
 من باب مصر إلى بصر إلى عدن
 ومن سواكم وعين الناس ترقبكم
 بخدمة المُصطفى أسلافكم شرفت
 تيمة علقت في جيد دولتكم
 عُضوا عليها وصونوها فإن سقطت
 ولن ترواحا دثا في الدهر أو قلقا
 ما كان أحوجنا أن تُبعثوا ثقة
 سلوا الطريق عن الحجاج تخبركم
 سلوا عن الحجرة الزهراء إن خفيت
 سلوا عن المال فيها^(**) والذخائر من
 واجزوا العساكر إحسانا فقد ستروا

(*) وادى الغضا بالحجاز وجزيرة العرب ، ووادى الرمل بأقصى المغرب .

(**) كنى قباد : من ملوك الفرس .

(***) أي المعتصم .

(*) كتب في الحاشية : نسخة تناسبا .

(**) قيل : إن الأغوات باعوا من المال الذي في الحجرة والله أعلم .

لله والله في الأخرى يكافئها
 بسهمه وَعَنَاهُ ما يُعْنِيهَا
 وآخر قام يحميها وَيُحْمِيهَا
 لنا وان سُئِلت عنها تؤديها
 أعمال برعسى المولى يركبها
 أرواحهم دونها واستقتلوا فيها
 نَمَكٌ حَرَامٌ (٥) ويكفيها معاصيها
 وجنة الخلد قد باءت بأهلها
 بكى على الدار لما غاب حاميا

وكم أيادٍ لقاضي (٣٣٣) الشرع قَدَّمَهَا
 فإنه صان عرض المسلمين رَمَى
 والنفس لا يستوى من جاء يقتلها
 مشاهد صالح الأروام (٣٣٣) تشهدها
 فُهِمَّ وحكام مولانا الشريف لهم
 وكلهم بذلوا في حال غيبتكم
 هم المحامون دون الدار لافقة
 جرى القضا عرفت أصحابها سَقَرٌ
 نام الخلى عنك والمحزون خاطره

وقال الشيخ محمد سعيد بن محمد أمين سفر المدني رحمهما الله تعالى

فلقد أجاد وأفاد :

ويشكى إلى الله العظيم ويرغب
 ويرهب مما حل فيها ويرعب
 ويأنف من تلك الخطوب ويفضب
 لما راعها حقت بل الأمر أصعب
 وخمسين أبد الدهر ما منه يعجب
 أولى العقل واحترار الطيب المحرب
 تظن شرابا وهي نار تلهب
 وتعبث بالخبر العليم وتلعب
 ولا في قديم الدهر مذ كان يثرب
 وهتك يزيد للمحارم أغرب
 فليس لها بعد المطالع مغرب
 وليس يرجى بعد أن سوف تذهب

على بلدة المختار بيكى ويندب
 ويحزن مما قد أتاها من البلا
 ويرثى لها مما عراها عدوها
 ووالله لو أن الجبال تصدعت
 ففي مائة من بعد ألف وستة
 بدت فتنة عمياء فيها فادهشت
 تموج كموج البحر في ظلمة الدجى
 وتخدع ذا اللب السليم بمكرها
 وما جاء في الإسلام قطعا نظيرها
 وإن كان قتل الشيخ أعظم فتنة
 ولكن هذى فتنة مستمرة
 أقامت علينا فوق سبعة أشهر

(٣٣٣) هو إسماعيل افندي اسكدارى .

(٣٣٣٣) صالح الأروام مثل محمد افندي كركوتى ومسعود زاده ومحمد شروانى ومجاورون آخرون

(٥) من أمثال الفرس « نَمَكٌ حَرَامٌ » : يريدون بذلك الحائض .

وعمت بأنواع البلاء فما لها
وأغيا فرار الناس منها فكل
فما هي إلا ردة جاهلية
فنسأل مولانا الكريم يعيدنا
ونرفع شكوانا إلى باب جوده
وندعوا رسول الله في كل أزمة
ونهي إلى سلطاننا دام عدله
وَسْتَنْصِرُ الْأَشْرَافَ مِنْ آلِ أَحْمَدَ
على حرب الطاغين مع من أعانهم
فيا لَنَمَى يا لزيد ويا بنى
أغيشوا أغيشوا بادروا دار جدكم
وجاسوا خلال الدورة ينهبونها
فصارت خلاء وحشة بعد أنسها
وعطل منها مسجد المصطفى فلا
ومن عجب منع المصلى دخوله
وأعجب من هذا أذان مؤذن
وأعجب من هذين رميهم به
يقولون يرمون النبي وما دروا
أيرضى رسول الله ما ارتكبه من
أخاف رسول الله من قد أخافهم
أيرضى رسول الله رميهم من السمن
فكم قتلوا منها بريئا موحدًا
فإن دماء المسلمين وعرضهم

طريق يظن الخير فيه فيركب
من أراد النجا منها تجرّ وتجذب
تسير إلى سر القلوب وتثقب
وكل منيب من لظاها وتطلب
فذاك لنا عند الشدائد مهرب
ليشفع عند الله فهو المقرب
أبي الفتح محمود ونبدي ونعرب
فنصرهم للمستغيث مجرب (١)

على حرب جيران النبي وحزبوا
سعيد ومسعود ماذا التجنب
فقد حرق الأعراب فيها وخربوا
فشرق عنها ساكنوها وغربوا
وأرجف فيها المفسدون وأرعبوا
يذاع به علم ولا القسط ينصب
وأعداء دين الله منه تقرب
فمن جاء يسعى بالبنادق يحجب
فمن رامهم بالرمي للكفر ينسب
بأنهم بالنص للكفر أقرب
إخافة جيران النبي وأرهبوا
ومن رامهم بالسوء فهو معذب
ئر من قد جاء للشرع يطلب
ولم يختشوا بطش الإله ويرقبوا
من المسجد الأعلى (٢) أحق وأوجب

(١) من المعلوم أن السؤال والشكوى والدعاء هي لله عز وجل الواحد الأحد الفرد الصمد ، فإنه يرجع الأمر كله ، وما في هذه الآيات من توسل ودعاء لغير الله عز وجل فهي باطلة لا يرضى عنها الله ورسوله الكريم ﷺ .

(٢) في المخطوط رسمت « الأعلأ » كذا .

وأما رسول الله فهو بقبره
فلو كان حياً والعدو بحبته
أما كانت الصحب الأكبر حوله
وأعداؤه من خالفوا شرعه وقد
وقد أبطلوا احكامه في وصية
وقد بدؤا بالرمي كل موحد
فإن تُركوا يستأصلوا كل مؤمن
فحكمتهم حكم الكلاب بمسجد
يقولون جهلا قد أطعنا أميرنا
ويبدون من فرط الخداع نصيحة
وليس لوالى فى المعاصى إطاعة
وأقسم لو أن الأغاقة عصاهم
ولكن أغراضا لهم قد تحكمت
فإن كان يرضى فعلهم فهو مثلهم
بلى صار رهناً فى يديهم موافقا
فخالف أمر الله واتبع الهوى
يخاف حسابا عاجلاً دون آجل
ويطلب بالفرمان إخراج ستة
حموا بلدة المختار وهو إباحها
إذا جاء فرمان على وفق قصده
واخرج فرمان باخراج بعض من
إذا جاء فرمان يتفويض سيد ال
على أن فى فرمان إنهاء كاذب
وقد علق فرمان بالشرع فارتضوا
فقالوا له إذ لم تطع لشرية
فلم يرض بالأمرين واتبع التى

ورامى أعاديه إليه مقرب
يصول على الإسلام لاشك يضرب
تدافع عنه الكافرين وتضرب
أباحوا حماه للعدو وأخربوا
وأرث وتزويج وللکفر صوبوا
فقتل جمع بالرصاص وصبوا
ويرضى بذاك المنكر المتعصب
تنجسه هلاً تزاح وتضرب
وقد خالفوا الشرع الشريف وكذبوا
وهم لولي الأمر أعصى وأكذب
ومن ردّ هذا القول فهو مكذب
لصالوا عليه بالسيوف ونصبوا
فجدوا على تنفيذها وتعصبوا
وإن كان لا يرضى فهم قد تغلبوا
لأغراضهم والعقل منه مغيب
فها هو ذا فى ورطة الجهل ينشب
ويفسد أضعافاً لما منه يهرب
وهم منه أولى بالصواب واصوب
فأيهم بالنفى أولى وأنسب
ينفذا وفيما سواه يغيب
لديه فلم يخرججه والفرق معرب
جميع عليه وهو يأنى وينكب
فإخراجهم بالكذب لا يترتب
مرافعة وهو الذى يتجنب
نعرف مولانا الشريف ونكتب
يفرع منها كل شر ويعقب

مدينة خير الخلق يؤذى ويرهب
 قضى بأن يخرجوا دفعا لما يتجنب
 ومالوا إلى حرب العباد وأنشبوا
 احاطوا بهم من كل وجه ونقبوا
 عن المحصنات المؤمنات فأوجبوا
 على دخن والأمر فيه مذذب
 ويوفوهم كل الحقوق ويحسبوا
 إلى مدة معلومة فتغيبوا
 وقد باء هزاع بما كان يكسب
 نفوهم بظلم بغى حرب فأغضبوا
 مضت ساعة حتى علوا وتغلبوا
 قلوب الأعدى واستكانوا وأرعبوا
 وقد يئس الأحزاب منهم وخيبروا
 فسارع أصحاب الحصار وقربوا
 ولاذوا بهزاع وأغروا وأنبوا
 بجيش كجيش الفيل والله أغلب
 معينا له والشر للشر يجلب
 وآذوا إمام المرسلين وأغضبوا
 يغير عليها بالعدو ويجلب
 عصاه جميع المؤمنين واذنبوا
 دليل على قتل العصاة فيعرب
 أخيفوا ومن رمى المدافع ارهبوا
 رمت حملها والخوف للكل متعب
 وجدد فيها للخوارج منصب
 وأبعد منها المسلمون وجنبوا
 ومن يبع ذا بغي فذاك الخيب

وقرب هزاعا وحكمه على
 فلما رأى القاضى انشقاق العصى
 فلم يكتفوا منهم بإخراج ستة
 وشنوا عليهم غارة جاهلية
 فأدركهم لطف الإله فدافعوا
 وحاول بعض الناس بالصلح بينهم
 بأن يخرجوا منهم ثمانى عشرة
 فإن لم يوفوهم فلا صح بينهم
 فلما مضت لم يسلموهم حقوقهم
 وعان أصحاب الحصار الذين قد
 فجاؤا بليل تحت قلعتهما فما
 فلما علوها كبروا فتصاغرت
 ولما حوى أهل الحصار حصارهم
 سعى بينهم بالصلح من هو ناصح
 وصرح بالمنع الأغاء وجنده
 وأرضوه بالمال الكثير فجاءهم
 ووافق عيّد فجاء بجنده
 فعاثوا بأنواع الفساد بطيبة
 فهل سمعت إذن بحاكم بلدة
 وهب أن منهم ستة قد عصوه هل
 وهب أنهم جمعا عصوه فهل له
 وما ذنب أطفال صغار ونسوة
 فكم مرأة ماتت برعب وحامل
 وما بال دار المصطفى حين أخربت
 وولى هزاع وعيد امورها
 بغي نصر هزاع وقد طالما بغي

ينال لديه كل خير ويحلب
 ويعزل منه من يشاء وينصب
 ومسعود المرضى في العدل يرغب
 فنحن بحول الله نعلوا ونغلب
 كلاب تعاوى أو فساء تصوب
 سوى أنهم في الكفر حزب مخرب
 تطير من الرعب الشديد وتهرب
 سوى أكل من جاؤا بهم وتسيبوا
 واسواقهم والله يحصى ويحسب
 وهدم وحفر في البيوت لينهبوا
 لخارجها إلا قليلا فأتعبوا
 من المرتضى أفعالهم أتعجب
 على هتك دار المصطفى فهو أعجب
 وأرضاً بها جبريل يأتي ويذهب
 وأطيبها إذ حل فيها المطيب
 وجدوا على تخريبها وتخربوا
 إذا أدخلوا نار الجحيم وعذبوا
 وهمة قاضي الشرع والحق يغلب
 ولكن حماها كل شهم مجرب
 وقائد مولانا الشريف المهذب
 وجوه الأعدى في التراب وتسحب
 وقد ملؤوه ^(١) بالجنود ورتبوا
 وهل يعجزن الأسد كلب وثعلب
 ثلاثون كلبا غير جمع تصوبوا
 بل استسلموا كالبدن حين تقرب

فهلا دعا مولاه مسعود الذي
 ومن هو في قطر الحجاز مفوض
 ولكن هزاعا إلى الجور مسرع
 فإن كان هزاع أتى بجنوده
 فجاء بإعراب حفاة كأنهم
 ألوف ولكن ليس فيهم شجاعة
 إذا قيل جاءوكم تكاد قلوبهم
 فلم يظفروا من طيبة بمرادهم
 ونهب حبوب المسلمين ودورهم
 وحرق بنار سوف يصلونها غدا
 وقد ترك الناس المدينة وانتهوا
 وما عجبني من كفر حرب وإنما
 ومن قال هم أهدي سبيلا وحنهم
 أليست بدار العلم والدين والهدى
 فياويحها من قرية ما أجلها
 ولكن أضععتها ولاة أمورها
 فياويلهم من مالك الملك في غد
 فلولا رسول الله فيها وصحبه
 لما حام فيها الطير من عظم بغيهم
 أولئك أصحاب الحصار وأهلها
 فكم وقعة فيها تخمر لوقعها
 فمنها بيت الذبح في يوم جمعة
 فكر عليهم بالسيوف حماها
 فقتل منهم عصابة جاهلية
 ولم يحم كلب منهم دون نفسه

(١) في المخطوط رسمت ملؤه ، كذا .

تحصن فيها أهلها وتجنبوا
 فداروا حوالها ومنها تقربوا
 وكر عليهم كل ليث مذرب
 لشدة ما يخشى على البعض يركب
 ومن على بعض وجمع مصوب
 وما منهم إلا كتيب مخيب
 وما النصر ألا منه وهو المقلب
 حماهم من السودان والكل محرب
 على الفتح والمقدور عنهم يحجب
 ومن حارب الله العظيم سيغلب
 وهمته فهو المهاب المحجب
 وسيرته في العدل تتلى وتكتب
 فما مثله في الرفق أم ولا أب
 فدانت له أم القرى وهي أرحب
 فعاملهم بالحلم كي يتهدبوا
 على الله حتى حابوا وتصلبوا
 وفيهم بنوا الهيجا معد ويعرب
 وكلهم في حومة الحرب اشهب
 تحطم فيه السمر واليضر تحضب
 يحار له لب اللبيب ويعجب
 فيمنعها كل من البدو أجرب
 ومك حكمة في الكون عنا تغيب
 كأخذه عادا وثمود فيذهبوا
 أي النصر مسعود ليصفو مشرب
 فقد حاربت حرب وصدوا وأجلبوا
 فما لم يذقوا السيف لن يتأوبوا

ويوم أتوا فيه إلى القعلة التي
 وقد عزموا أن يفتحوها بزعمهم
 فما راعهم إلا وقد فتحت لهم
 ففروا جميعا كالجراد وبعضهم
 وذبح منهم بضع عشرة فاجرا
 فعادوا حيارى لا يقر قرارهم
 وذلك فضل الله يؤتيه من يشا
 ثلاثة آلاف من البدو غير من
 يغيرون من خمسين من بعد عزمهم
 فهذا وبال البغي والظلم والأذى
 وذاك بأنفاس الشريف وعزمه
 هو الملك المرضي في الناس حكمه
 يحوط رعاياه برفق ورأفة
 حمى الحرمين الأعظمين بسيفه
 وعارضه في طيبة كل ظالم
 فما زادهم الا نفورا وجرأة
 فأنهوا لهزاع برد جنوده
 ويقدمهم من آل زيد عصابة
 فردهم عن قصدهم بعد معرك
 وذلك من جور الزمان وقهره
 أتعدوا أسود من لؤي ابن غالب
 ولا عجب فالحكم لله وحده
 ولا بدع أن يستدجوا ثم يؤخذوا
 ففرجوا لهم قتلاً سريعاً على يدي
 فيما ابن سعيد جد بنصر معجل
 وصرح هزاع بإبطال حكمكم

ولكن ذيل الجهل والبغى يسحب
شواهم بنار الحكم حتى تعذبوا
دروا أن شؤم البغى للقتل يوجب
خصوصا علينا فاستطالوا وأتعبوا
ونحن ندى أن يقتلوا أو يصوبوا
رمت بزناها اثنين وهي تكذب
بطاغوتهم والجهل فيهم مركب
على ذلك القتل الحرام وعذبوا
ولا ملة فيها حى وأخطب
لجيران خير الخلق أن يتغربوا
مصائب منها الحر في الموت يرغب
بلىنا بمحكام الحرب يقرب
وذلك عن معلومكم ليس يعزب
يصدونه بغيا فلسنا نعيب
من الإثم والعدوان ما ليست يحسب
يجيء إلى هذى الجبال ويقرب
وإن تمهلوهم للخلافة يطلبوا
لهم في قبيح الكفر دين ومذهب
ومثلك من يرجى إذا عز مطلب
فيلقاك بالإقبال سهل ومرحب
لفصل قضاء بيننا يترقب
ولا زلت مسعودا وفألك طيب
وإخوانك السادات ما انهل صيب

وما حده حتى يعارض حكمكم
وقد كان من حلامكم أحمد اللدّا
ولكن برد الحلم جرأهم وما
ولا تمادى حلمكم يزداد بغيم
فإن قتلوا منا أطلت دماؤنا
وأعظم من هذا قضية مرأة
فصممت الاعراب أن يقتلوهما
ووافقهم حكامنا فصاونوا
فوالله لم يسمع بهذا جملة
إلى غير هذا من مظالم أوجبت
فإن لم يطبقوا حالقوهم فياها
وما ذاك عن جن بنا غير أننا
ويعطوهم أموالنا لقتالنا
إذا كان جيش منكم جاء مصلحا
وكم قبله صلوا الحجيج وكم أتوا
يقولون ما السلطان لو كان قادرا
فلم يبق إلا دعوة الملك فوقنا
فبادر حماك الله في قتل عصابة
فمثلك من يدعى لكل ملة
وسر بجنود النصر قاصد طية
فليس لها يا ابن الكرام سواكم
فلا زلت مقصودا لكل عظمة
عليك صلاة الله في كل لحظة

فَلله درهما من شاعرين أديبين ، وفاضلين كاملين أريين .

ولما تولى عبد الرحمن أغا الصغير كان كاليهود على المؤمنين ، وكابن أبي
 في المنافقين ، فسفر منهم من أراد تسفيره ، وغزر منهم من أراد تعزيره ، وجلا
 كثير من الناس ما بين ذنب ورأس ، وكان من جملتهم أهل بيتنا ، ولم يبق منهم
 إلا ما ندر ، وصار يتهدد أهل القلعة ويؤذيهم والله سبحانه وتعالى مطلع على
 أحوال الجميع ، فتوجه سيدي عبد الكريم وأولاده إلى مكة المشرفة سوى
 ولديه محمد سعيد ومحمد أبي البركات فإنهما أقاما في المدينة ، وأما سيدي
 يوسف فإنه توجه إلى بدر وامتدح أصحاب بدر بقصيدة ، فمن ذلك ما قاله
 حين يخرج من المدينة وتوجه نحوها وهي قصيدة غراء :

تصبر فعمر النائبات قصير	ومثلى على سير الزمان يسير
يقينى يقينى ما أظن من الردى	ويمنعنى كيد العدا ويجير
ونفسي إن جاشت أقول لها أصبرى	فلست بنفسى إن عراك ضجور
وكونى على حكم القضا مطمئنة	فليس سوى ما قد قضاه يصير
وما محن الأيام إلا سحابة	بأبآن صيف ساعة وتغور
فما تغلين إلا ضعيفا يقينة	ويغلبها ثبت القواد صبور
وللدهر حالات كثير ورودها	ودور على مر الزمان يدور
فيوم بلاء وامتحان وشدة	ويوم رخاء وفرحة وسرور
كما حركات الرمل يعلوه سافل	ويسفل عال والهباء يطير
فذا طبع دنيانا التى غدرت بنا	ولم نعتبر ما قدمت فنحور
نرى ناهيا للضحك والقصد عضة	وحد لأمر ما الأئين قصير
وللحر فيها غصة بعد غصة	وإن نال حمدا أبغضته نظير
إذا نصبت ذا منصب نصبت	ردا نصيب والعزل منه جدير
وكم رفعت ندلا وحطت مهذبا	وكم كدرت صفوا عليه نذير
وشركت اثنين فى أمر امرأة	ولم يسع السيفين صاح جفير
وخالفت الغطريف والوغد وافقت	وجاءت على ما فى المراد تسير
فلا تعذلنها واعدننها فإنها	لساكن ربح لا تزال تغور
فشنشنة من أخزم قد عرفتها	وطبعا فإني للطباع غير

مَجْتًا^(١) من الرأى السديد ستور
 رمته بأمر منتهاه خطير
 عداه وإشمام العدو كبير
 فذلك معدوم الحواس بصير
 فساجحه عند السباق قصير
 ولم يستخر فيها فذاك غرور
 ولم يند مَنْ في الأمور يشير
 لإخوانه ويل له وثبور
 فليس له في النائبات نصير
 يصير عليه ما عليه يصير
 كمن رام حسادا يكون ظهير
 ومن يعتقد حسبا سواه كفور
 يعد حَمْدُهُم ذنبا وذلك زور
 لها في حشاشات القواد سكير
 لعارض شتم باللام مطير
 كالكَسَعَى ذى القوس وهو شهير
 من الألف عن حلم فذاك شكور
 حلاوة عيش أضمرته دهور
 فصار له كف الأنام يشير
 ويسلمه من كان عنه يجير
 كما قيل كسر للظهور ظهور
 بباطن أطباق عليه صخور
 وأصبح تنعوه ربا وقصور
 أنيس ولم يسمر هناك سمير
 وتحدث من بعد الأمور أمور

فمن يعرفها يستعد لحرها
 ومن لم يضع حر كاتها نصب عينه
 ومن لم يحاذر غدرها أشممت به
 ومن لم يفكر فى الحوادث دائما
 ومن لم يسئل بالعلم والحلم والتقوى
 ومن لم يشاور فى مهمات أمره
 وماخاب من فى الأمر أبدي استخارة
 ومن لم يكن عند الشدائد عدة
 ومن يتخذ أنصاره غير قومه
 ومن يتساهل فى أخيه فإنه
 ومن ينتصر بالصد لا بد ينخذل
 ومن يعتمد فردا سوى الله فإيل^(١)
 ومن يعتبر حمدا لغوغا وقته
 ومن عنف الموجوع أبدي شماته
 ومن عاشر الأندل عرض عرضه
 ومن جرب الأمر المجرب نادما
 ومن يتحمل ذلة فوق زلة
 ومن يتجرع غصة الصبر ذاق من
 وويل لمعروف بمعروفه سما
 يعاديه من يسدى إليه حمائلا
 فإياك إياك الظهور فإنه
 فكم ظاهر ممن رأيناه قد غدا
 وصار حديثا قد مضى ذاك وانقضى
 كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
 ومن بعد هذا اينقضى كل ما ترى

(١) المَجْتَن : الترس .

(٢) أى : مخطيء .

فطوبى لمن أعلا عن العيب نفسه
 وأكرمها عن أن تراب برية
 وأبدلها دار المعزة والثنا
 فدار لا دار كيدر وأهلها
 يلاقون بالبشر النزيل كرامة
 فأعلاهم السادات ثم ابن وائل
 بلاد بها انتصر النبي على العدا
 سكنت بها واخترتها دون غيرها
 وآثار طه في حماها وتربها
 ومن كان فيها غير فاقد طيبة
 بها شهداء الله أنصار دينه
 فسر قاصدا تلك المآثر زائرا
 فإنهم الأحياء عند إلههم
 هم القوم لا يشقى نزيل حماهم
 وما ضرنى أنزاح دار ألفتها
 إذا وجد الإنسان ما يكرهه
 خروج الفتى عن داره فيه حكمة
 فلو لافراق السهم للقوس لم يصب
 ولا يعرف المكنون إلا إذا بدا
 وليس على ضمير يقيم أخو حجي
 ولي أسوة بالسالفين إذ علا
 وإن صيَّن العرض استبيح ومثله
 وإن ساد نذل فوق ندب مؤثله
 وللوقت إقبال كالآذار ذابدا
 فمن دق دق بما يدق ومن يكل

فصار لها هام السماك سرير
 فأكرم أتى يعتدى ويسير
 ودارا بها للأكرمين ظهور
 نجوم لبدر صبحهن منير
 ويسلونه مرباه وهو صغير
 وآخر في ذا الانتساب خشير
 فصار عليها من هنالك نور
 فكان بها للواردين صدور
 ومن لم يجد ماء فالتراب ظهور
 لأن بها للطيبين عبير
 هم أهل بدر كلهن بدور
 فما خاب من تلك القبور يزور
 وسل عنهم ما شئت فهو يسير
 وحاشا نزيل للكرام يسور
 فكل ديار للمهذب دور
 بدار جفاها والديار كثير
 يحيط بها من بالأمر خبير
 ولولا انصلات السيف ليس يضير
 ولا الدر ما لم تقذفه بحور
 ويرضاه إلا العير وهو ... (١)

على دنى واستحل حقير
 فإن آله العالمين غيور
 فلا بدع قد يعلو الزلال قشور
 وقرض وفاء والقضاء نظور
 يكال له كيلا عليه يحور

ومن كظم الغيظ استراح ومن عفى
 وذلك توفيق من الله إن يشأ
 وإني لأرجو الله تعجيل نصره
 وتفريج كرب ما حسبت حسابه
 ونيل من نفسى على الفور عاجلا
 وأصلح في العقبي جزاه أجور
 يوفق له من شاء وهو قدير
 تظير لها في الخافقين نسور
 وتيسير أمر إذ يقال عسير
 يجيىء به في الحادثين بشير

ومكث بها مدة من السنين إلى أن توفي والده سيدى الجلد عبد الكرم سنة
 ١١٦٢ هـ اثنين وستين بعد المائة والألف ببلاد الله الأمين ، إلى أن قال رحمه الله
 تعالى وفيما بين سنة ١١٨٧ إلى سنة ١١٩٤ : وقعت في المدينة جملة فتن عظيمة
 الحن فيما بين أهل المدينة في بعضهم بعضا ، وفيما بينهم وبين الشريف سرور
 وبين جماعته الذين وضعهم في القلعة .

الفتنة الأولى سنة ١١٨٧ سبع وثمانين بعد المائة والألف

فتنة جماعة القمقمجى وهو أصلها ، والقمقمجى كان كتحذا أنوبجتيان واسمه محمد حلى بن مصطفى بن محمد أغا وهو أول من قدم المدينة من الروم فى حدود سنة ١١١٠ هـ عشرة بعد المائة والألف ابن جعفر بيك بن مصطفى باشا أحد وزراء السلطان محمد خان ، رحمهم وإيانا الرحمن وكانت ولادة الكتحذا المذكور سنة ١١٢٩ هـ تسع وعشرين بعد المائة والألف وتوفى فى سنة ^(١) ، وكان عمر حتى قارب المائة ورأى ولد ولد ولده ، وكان كتحذا القلعة أبو صالح محمد ابن صالح ، كان أبوه من عتقاء الحاج إسماعيل أفندى الفلبلى الرومى ، كان جاوشا فى وجاق الانقشارية ولما أنزله المدينة أحمد باشا ولاة كتحذا القلعة ، ثم صار قائمقام أعاتها بعد وفاة السيد عثمان أغا ، وتوفى فى سنة ١١٩٠ تسعين بعد المائة والألف وكان كتحذا الانقشارية محمد أمين ميكائيل وشيخ الحرم على أغا وسببها : أنه أشفق أن ليلة أربع وعشرين من جمادى الآخرة سنة ١١٨٧ سبع وثمانين بعد المائة والألف حصل بعض سرق فى المدينة فاتفقوا النوبجتيية أن يعسوا البلاد ليلا ويجعلوا كل ليلة على جماعة منهم ، وكبيرهم جاوشا من جواويشهم ولما كانت ليلة الجاوش على قللى خرج بعس على عادتهم ومعه عمر الغسال وشرف قبالى وجماعة ، وكان بينه وبين جاوش القلعة سعيد شقلبا بعض منافرة ولما وصل الجاوش على إلى باب القلعة فى عسة وجد جماعة من أهل القلعة عند باب الصغير جلوسا ، فدعوهم للجلوس عندهم للمحادثة وجلسوا إلى مقدار نصف الليل ، فلما قام من عندهم متوجها إلى مكانة عارضه سلطان عبد مدينى سندی غارقا فى الشراب ومعه جمع من الناس ، وكان مغرورا من طرف القلعة أو من من جماعته

والله أعلم بقتله ، فوَقعت بينهم وقعات هائلات تصوب فيها جمع من الطائفتين وقتل سلطان وسلم القللى وتوجهوا إلى حارة الأعوات وأتموا ليلتهم ، ولما أصبح الصباح اجتمعت النوبجية في الحارة واستحكمو الحكام في ذلك فأمر شيخ الحرم على أغا بأن يجبس محمد سعيد بن مصطفى ككتخذنا سابقا أوده باش وكان بيرقدارا في وجاقهم ويجبس معه جماعته فحبسوا ، وبعد مضي نحو من أربعة أيام أفرقت النوبجية فرقتين .

منهم من قال : إنه ما يجبس ويخرج من حبسه ، ومنهم من تشدد في حبسه ، وسبب ذلك أن شيخ الحرم تشدد في عدم إطلاقه حتى يصل إليه جوابه من الشريف أحمد بن سعيد أمير مكة المشرفة ، فتكاثر الآبون بحبسه وأطلقوه رغما على شيخ الحرم وجماعته ، ولما خرج محمد سعيد تعصب هو ومن في حزبه في عزله الجاوش على قللى وقالوا : لابد من عزله وإخراجه من الوجاق فأبى ذلك شيخ الحرم ، فطال بينهم الحال ، واشق الأمر فرأى شيخ الحرم الإصلاح في عزله فعزله ، وعزل الجاوش أحمد خليل ونصب عوضهما شرف قباني عوضا عن القللى ، وأحمد تركى عوضا عن أحمد خليل ، فقالوا ما زيد هذين أيضا ، فقال شيخ الحرم والكتخذنا محمد قمقمجي : ما نحن على رأيكم وأهوائكم فخرجوا عنهم نافرين ، وتوجهوا إلى القلعة مستصرين بهم ومستجدين ، وصاروا كل يوم مع جماعتهم في أمور عظيمة وأحوال جسيمة ، فأرسل شيخ الحرم إلى الشريف أحمد يعرفه بهذا الأمر ، فأتى بيورديا من طرف الشريف أحمد لعشر بقين من رجب ، فاجتمعوا العساكر وحكام المدينة وجميع الأعيان في دكة الأربعين كما هو العادة وأتى ككتخذنا القلعة محمد فليلي بنحو أربعين مقاتلا تحزم ظهره ، وحضر من جملتهم الشريف زين العابدين البركاتى ولما استكملوا جلوسهم في الدكة قام أحمد ككتخذنا كاتب شيخ الحرم وقرأ الكتاب عليهم وهم يسمعون ، فكان مضمونه قد بلغنا ما فعل بالقللى وعزل الجاوش فمن بعد الآن لا أحد يتعرض لوجاق غيره ، وكل منكم حكمه لككتخذاه وأغاته وشيخه وأرسلوا الجماعة الذين حصل منهم هذا الفساد ، فأبى أهل القلعة أن يطيعوه في ذلك ، وكادت تقع المقاتلة بين الفريقين ،

ولما طال النزاع بينهم وكثر الجولان دخل بينهم الشريف زين العابدين بالصلح ، وقال لأهل القلعة : اخرجوا لنا كشف من لم تريده من جماعتكم وكان تعصب عليهم جماعة فأخرجوا له اثنين وثلاثين كشفا ، وقال كذلك للنوويين فقالوا : نخرج كشف الجماعة الذين عندهم في القلعة ، ففرع هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء واستعوض كل منهما من عنده ثم كتبوا بينهم حجة شرعية بأنه لا يخرج أحد من وجاق إلى وجاق واصطلحوا ظاهرا والأمور في البواطن إلى أن صارت بين الوجاقات شديد العداوات .

الفتنة الثانية

فتنة بين وجاق القلعجية ووجاق النوبجية

وأسيابها عظيمة وأحوالها جسيمة ، فمن جملة ذلك ارتكابهم للمعاصي في السر والنجوى ، وعدم التقاص في الأمر بالمعروف والتقوى ولم يزل الحال بينهم في طول وعرض ، إلى أن كاد يملأ ما بين السماء والأرض ولما عظم الكرب ، وكاد أن يشب بينهم نار الحرب ، والطعن والضرب ، أشار بعض الناصحين على الكتخذا **محمد فلبلى** بأن يعرف أمير مكة المشرفة الشريف سرور بن مساعد وكان أول ولايته ، ويشرفه على هذا الأمر قبل أن يطول بينهم الحال ، فأرسل إليه يعرض بذلك ويستعطف خاطره في إطفاء نار الفتنة ، فأرسل الشريف إلى شيخ الحرم والكتخذا **محمد قمقمجى** يطلب منهم مُشَبِّي^(١) الفتنة الذين هم من طرفهم **كالفلبلى وعيسى الجزار ونحوهم** ، فرأى^(٥) أن الأمر عظيم وتمت عليه الحيلة ، فما وسعه إلا أن توجه بنفسه إلى الشريف وشكى إليه حاله ، وتظلم عنده ، وقال له : أحضر حُصمائي بين يديك فإن كنت ظالما أنت أولى منى بالإنصاف ، وإن كنت مظلوما فأنت خذ بيدي ، وكانت حيلة منه ، فأرسل الشريف سرور يطلب **الفلبلى** للمحاكمة بين يديه ، وتعاين **الفلبلى** منه المكروه ، حسبما ألقى إليه فيه فتعذر في الحضور ، فتيقن الشريف بأن الحق مع **القمقمجى** ، وكان بالأمر المقدور أن جاءه خبر من قتل من النوبجية في مدة جلوسه فزاده إيقانه ، وذلك أنه لما توجه **القمقمجى** إلى الشريف كما ذكرنا كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ساكنون في المناخة ، وكل ليلة ينزلون صلاة الصبح من باب المصرى وهم أشد طائفة النوبجية ، وصارت تصدر منهم في أهل القلعة أمور خصوصا لما تيقنوا معاضدة الشريف لهم كما تصدر فيهم من أولئك عظام شرور ،

(١) في المخطوط : مشين ، وهو تحريف ، وما أثبتناه بوافق الصواب

(٥) أي : **القمقمجى** .

ولما كان ليلة من بعض الليالي تحزم جماعة من أهل القلعة واضمروا لأولئك المكروه ودسوا على بواب المصرى بأنه حين دخول أولئك الطائفة يغلق خلفهم الباب ، وكان تلك الطائفة يجتمعون عصابة واحدة عند دكة^(٥) شيخ الحرم وينزلون كما هم ، ولما كان ليلة الجمعة لم يجتمع منهم سوى أربعة أنفس ابنا القندقجي الاثنان والبقسماطى وشرف قبائى ، ولما دخلوا من باب المصرى أغلق الباب ، وكان أهل القلعة رتبوا لهم رتبا وأكمنوا كمننا فى غير محل من باب المصرى إلى باب السلام ، ولما توسطوا خرج عليهم الكمين ، ثم الكمين والآخر ؛ حتى أحاطو بهم من كل جانب ، وحملوا عليهم معاتب أثر معاتب من كل الجوانب ، وعسروا عليهم المداخل والمخارج ، إلى أن أجهفوهم بالضرب ، واستولوا عليهم بالطعن والسلب ، وضعف منهم الساعد ، وخانهم شيطانهم والمساعد ، فوقع البقسماطى قتيلا وتلاه أحد ابني القندقجي جديلا ، ونجا أخوه وظن أنه نجا فسمع أنينه ، واستنجاهه به وحينئذ ، فرجع له منجدا فوقع بين مخالب العدا ، ولم ينبج منهم سوى شرف قبائى فإنهم لما أحاطوا به رماهم بجوار قرين فأخرجوا له ودخل بنعله إلى دكة الأربعين ، ونادى بأعلا صوته : يا أهل الحارة ، ويا أهل النجدة والغارة قد دهمتكم الرجال ، وقتلوا من رجالكم الأبطال ، فلم يكن له مجيب سوى صدا صوته والنحيب ورجع أولئك وهم صاجون بالصياح ، فرحون بما استلبوه فيهم من العدة والسلاح ، وبما نالوه من أعدائهم فى ذلك البراح ، وتشويه وجوههم الملاح ، ولما أتى الصباح وأضاء بنوره ولاح ، اجتمع العساكر اجتمع فيما بينهم مع أمرائهم وعظمائهم ، وتوجهوا إلى بيت شيخ الحرم وقالوا : إنك دأبت ما صار البارحة وأن القمقمجى الآن عند الشريف ولا يمكن أن يترك ثأر من قتل ونحن ما نسلم له بوجه من الوجوه ، فالرأى أننا نحزم الأمر قبل مجيده ونعقد العهود والمواثيق فيما بيننا ونطلب منك أن تضع لنا كتحدا غيره حتى يتم لنا الأمر ولا يتم له .

فقال لهم كذلك : اختاروا من شئتم ، فاجتمع رأيهم على أحمد مكى فنصبه لهم وعقد فيما بين الوجاقات الأربعة والأغوات وعبيدهم وشيخ الحرم العقود

(٥) دكة شيخ الحرم موضعها الآن القرقول المسمى بالخالدية ، لأن خالد باشا محافظ المدينة هو أول

والمواثيق والعهود على أنهم عصاة واحدة ولا يمكنوا القممجي من دخول المدينة إلا أن أهل الحارة قالوا لهم : احفظوا باب الجمعة ونحن ليس لنا به حفظ ، فإن دهمنا خارج فنحن على ما نحن عليه ، وإن دخل علينا أحد فالتفريط إنما جاء منكم ، ونحن لا نسلم من يستنجد بنا فتموا على هذا الأمر ، وخالفهم الدهر العنيد ، ويأبى الله في ملكه إلا ما يريد .

* * *

الفتنة الثالثة

فتنة القممجى مع أحمد مكى وأهل القلعة والانقشارية

وذلك أنه لما كان عند الشريف سرور وبلغه ما صار على جماعته كما قدمناه قام له الشريف عضدا ومساعداً ويدا ، وأرسل معه إبراهيم أغا وزير بابه وجوقدارباش والشاوش حسن كوافى وحمزة ظافر ، وأرسل لبدوى شيخ حرب بأن يعينه على جماعة آخر ، فخرج قاصدا المدينة ، ووصل إلى حرّة النقا يوم الأحد واحد وعشرين من شهر شعبان ، فأرسل له أهل المدينة يمنعه عن الدخول فيها ، فنزل جماعته بالنقا ، وتوجه هو إلى العوالى وقباء والقرايا التى بأطراف المدينة يستنجدهم وأرغمهم بالدرهم وأشرفهم على أمر الشريف فأجابوه وساعدوه وجابوه ، ونزل السيد حسن كوافى إلى أهل الحارة خفية ، وأرغمهم بالأموال فى أن يقوموا معه فساعدوه على الشقاق ، ونكثوا ما بينهم من العهد لغش بواطنهم بالنفاق ، ومكث عندهم ثلاث ليال إلى أن استوثق منهم الفعل ثم طلع إلى جماعته ، وكان فى مدة جلوسهم فى النقا نزل جماعة منهم ورئيسهم عيسى الجزار وهدموا سد بطحان الساد ما بين بس نقره والمراقشية وحرقوا باب درب الجنائز ، ثم إنهم بعد إقامتهم فى حرّة النقاتسعة أيام جمعوا كيدهم فى اليوم العاشر وأتوا صفا وأنجزوا ليلة الإثنين تسع وعشرين من شعبان على باب الجمعة يدا واحدة زحفا ، وأكمنوا تحت جدر البقيع ، ولم يكن بالباب أحد من طرف القلعة ولما جاء البواب وفتحه ما كان بأسرع من طرفة حتى هجموا الباب عليه ، فولى هاربا ورجلاه تضرب بأليتيه ، فوجدوا أهل الحارة ينتظروهم^(١) بطلبهم والنقارة ، فقام الكل مسرعين ، وأتوا نحو المسجد النبوى قاصدين فصادفوا خروج شبح الحرم من المسجد النبوى ومعه الكتبخدا أحمد مكى فهجموا على الكتبخدا ، وكان شجاعا فقاتلهم ساعة ثم تكاثروا عليه فمرق من بين أيديهم مروق السهم من الرمية ، ودخل إلى بيت

(١) فى المخطوط : منتظرينهم ، تحريف

الأغا ، وأغلق عليه الباب ومكث محبوساً ثلاثة أشهر سوية ، ولما أيسوا منه ، دخلوا المسجد وأغلقوا أبوابه التي من غير جهتهم : كباب الرحمة ، وباب السلام ، ومسكوا البيوت والحارات المتصلة بقرب المسجد النبوي من جميع الجهات ، ثم علوا على المنائر وأطلقوا رمى البنادق والناس في غفلة ، وهجموا على الأزقة والأسواق وربما وصلوا إلى باب المصرى والساحة ، وفرح من فرح واغتم كل مؤمن وأظهر النياحة ، فلما شاع خبرهم ، وشيخ^(١) صباحهم ورومهم ، فتح أهل القلعة قلعتهم ، وخرجوا ومقدمهم ككتخاذهم محمد قليلى ، وكان من الشجاعة وقوة الجنان بجانب عظيم ، وقسم جماعته قسمين قسم على الحماطة والآخر توجه على الساحة ، فما غير ساعة حتى طردوهم طرد الكلاب وصاروا بين يديه كالغنم الهاربة من الذئاب ، إلى أن وصل قرب ديار العشرة ، ووصل محلاتهم وأخرجهم من متارسهم ، واستمرت^(٢) الحرب بينهم ثلاثة أشهر كوامل ، وصار المسجد النبوي بيت الفسوق بعد أن كان بيت العبادة إلى أن وصل الحاج الشامى وكان واليه محمد باشا بن العظم ، ولما وصل إلى الجرف طلع إليه الكتخذا محمد قمقمجى بجماعته وطلع إليه الكتخذا أحمد مكى بجماعة فرأى أن الأمر صعب إن بقى أحدهما فى المنصب أو تركهما على حالهما ، وكان مفوضا من طرق الدولة العلية ورأى ميل الشريف سرور إلى الكتخذا محمد فنصبه وأخذ الكتخذا أحمد معه إلى مكة وسلمة للشريف وأطفى نار الفتنة ، فجلست المدينة مطمئنة سنة كاملة غير أن جماعة القمقمجى صاروا يتعرضون لجماعة المكى ويتهددوهم ويسخرون بهم ويضحكون عليهم ، وأنشد فى ذلك الأفندى عبيد فذك قصيدة حذا فيها حذو السيد جعفر فى قصيدته التى عملها فى فتنة كابوس وقد قدمناها وزنا وقافية لكن ما أبعد مرماه فأين من ثريا ذاك ثراه مطلعها .

واها على طيبة مما جرى فيها من الفساد الذى قد حلّ ناديا
واها على بلدة المختار من مضر قد سامها بفساد الرأى شانيا

(١) فى المخطوط : « شلش » ولم أجد له معنى . ولعله ما أثبتته .

والتشويش : التخليط . وقد تشوش عليه الأمر . الصحاح (شيش) ١٠٠٩/٣ .

(٢) فى المخطوط : « استمر » .

واها لمسجدها السامى وروضته أبوابه غلقت لما عدا فيها

ومنها :

ها قد غدت أولات البغى مزجرة صبح العروبة لا عاشت كواخيها
قتلا وعزلا كذا صلبا لأربعة بغيا ولم يخبثوا ممن ثوى فيها

عدد أبياتها ١٥٢ ، وقد تكلم فيها بالكلام الخارج الغير المناسب للمقام ، مع ما فيها من ركاكة المعنى ، واختلال النظام ، وكان في بدء أمره خطيبا وإماما ، ثم صار من أعوان أولئك اللثام ، فسلط على ذمة ، وهجوه وشتمه في غير قصيدة ، وقد استحسنت منها قصيدة سيدى الوالد لكونها أنسب في الشتم من قصايد المرحوم الفاضل الجامى ، ولكونها نصيحة له أن لو كان يسمع ، ولكن رحم الله القائل :

لقد أسمعت إن ^(١) ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى
ويرحم الله من قال ، وهو شاهد الحال ، فيمن عكس الموضوع وأذل المرفوع :

يستوجب الصفع فى الدنيا ثمانية لا لوم فى واحد منهم إذا صفعا
المستخف بسطان له خطر وداخل الدار تطفيليا بغير دعا
ومنفذ أمره فى غير منزلة وجالس مجلسا عن قدرة ارتفعا
ومتحف بحديث غير سامعة وداخل فى حديث اثنين مندفعا
وطالب الفضل ممن لا خلاق له ومبتغى الودّ من أعدائه طمعا

وقال لآخر

إذا رمت أن تحبى ودينك سالم وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرى فعندك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوئا بقدّم قفل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتى هى أحسن

وهذه القصيدة المذكورة

وبعت ما لم يبيع بالدر بالدون
أهلا ولم لا تصون النفس عن دون
ركبت جهلا جوادا غير معنوي
من ذاك أغراك قل بعض الملاعين
ملوك مغربها والشرق والصين
أتى الأمين به من قاف أو نون
وعفت صفا لأملك الأساطين
تجزع وسوف ترى أشنى من الشين
عليك فاستوفها استيفاء ذى دين
ولا انتسابا لمن أرجوه يهدين
لا شك إنك زربون بن زربون
أبواب أهل الشقا أو كالشياطين
أهل الشقاق إلى إحدى الخبيثين
واخترت إن صرت من جرب الكوائين
تعلو على تلك ذا عقل المجانين
ملوك ساسان أم نسل الفراعين
لو كنت تمدحهم ما كان يرضيني
للهند ذا غرض أم قلة الدين
مجموعة نسجت في طي شطرين
شقوق لكنه في كل مسكين
أصبحت مأسورة عند الدواوين
الله ينقذه من شرذى ميين
على رقاب العدا حيننا إلى حين
غوث اللهيف وبل كهف المساكين

عبيد لم تشتري دنياك بالدين
ولم تعرضت أمرا لا تكون له
فالشعر لست له أهلا لترويه
شهدت بالزور لادرت يداك غنا
قد كنت في نعمة يرجو يكون بها
إمام في حضرة المختار تقرأ ما
وجئت في صف قوم لا خلاق لهم
فذاك من شقوة حلت عليك فلا
أشيا مسطرة قدما مقدرة
لم ترض عزا ولا علما ولا عملا
حيث تبدلت بعد العز منقصة
وصرت ملتطنا مثل الكلاب على
من ذا الزقاق إلى ذاك الزقاق إلى
نعم تركت العلا إذ لست مأهله
هذا وتزعم إن قد نلت مرتبة
من أنت ما الأب ما الأصل الذميم أمن
حتى تعرضت هجوا في غطارفة
أما ابن مكى فجهل منك تنسبه
فهاك أوصافه إن كنت تجهلها
جبار لكنه في مثلكم أبدا
أمين مأمونه عقابه ليس كمن
الله يحفظه الله يرشده
أمين لا برحت رجلاك واطمة
محمد الفلبلى عون الضعيف وبل

شجاع ما مثله إن ناب نائبة
 كم قد أعد لمن يرجوه مكرمة
 فكلهم ليس من عيب بهم أبدا
 يارب سخر لهم سلطان دولتنا
 تأتي بنصرتهم مع كل بغيتهم
 لم تصدقوا أبدا لا تعرفون هدى
 يقول قائلكم : نخشى أختي علي
 صدقت نحن الألى صحت خيانتنا
 خيانة يا لها دهماء مظلمة
 لكن وجوههم مثل القروء فلا
 أنكرتموا قول جامي فيويلكموا
 إذ قال للقتل أعددت مساجدكم
 صغيرة منهم كفر بلا شبه
 بلاطة إن تكن في الماء تجمده
 هذا ودم يا عبيد مع رفاقك في
 كذا رئيسكم أبا من عقدت
 ومن يلوذ به ومن يعوذ به

وللفاضل المناضل المرحوم الشيخ أحمد الجامي جم قصائد هجى بها كل
 من فى الحارة وخصوصاً الأفندى عبيد وفيها من الشتم واللعن والدم مالا يليق منها
 ردا عليه من وزن قصيدته وقافيتها :
 من فى الأفندى بدت يا صاح معدته
 وخضبت سرعة بالورس شاربه
 أما ترى صفه فى العارضين إذا
 فالذقن قد زانها بل شانها قدر
 دندنت ياطبل قبل القرع واعجبا
 أدخلت نفسك يا متعوس فى شبك
 وأرعدت ثم سحت بالذى فيها
 وطرطشت ذقنه انظر حواشيا
 ما لاح فيها بريق الماء يغشيا
 فعن قريب ترى تنفأ يوافيا
 حركت ذيلك للفحشا ترويا
 كيف الخروج إذا ما شئت تنجيا

بالغت في سب أقوام سما وزكوا
أعراضهم طهرت من قذف ذى قدر
جارت يا فار دهم الخيل في سبق
قد كنت في سالف الأزمان تخطبهم
والآن تبعهم هجوا وتشعرهم
كم كذبة كم زخارف حاز نظمك يا
قطعت للبعض بالنيران في سقر
ياهل ترى رازبوتى أنت أم قدرى
كلا بل أصلك المصكوا كذا نقلوا
أبدت قافية خنثى ومشكلة
قد كان جهلك مدفونا عليه غطا
كشفت عورتك البرصاء يا ذخلى
هذا لجام لبغل قام يرفزنا
بلبسها طول دهر في الورى أبدا

حاشاهم من قبيح فهته فيها
لا يستطيع غبار الدم يأتيها
أبوال إبل الفلا في العكس تحكيها
كذاك توعظهم تبكى بواكيها
وأنت لا تعرف الآداب تحويها
قبر اليهود وكم أشياء تزكها
كذلك البعض جنات تؤديها
أم رافضى قمت للآداب تحيها
عنك الثقات ولا يغباك خافها
لا وزن فيها ولا ربطا يقويها
فنقصك الآن أبدته قوافها
فاستر عوارك وارها وغطها
كذاك بردعة خيطة عراويها
ما سال في بلدة المختار وادها

وكان هذا لأمر - أعنى نصب القممجى - وعزل المكى وتسفيره على
عدم رضا كل مؤمن من أهل المدينة وغيرهم ، ولما رأى شيخ الحرم ما صار كتب
عرضا عظيمة ، وحط على القممجى غاية الحط بما هو فيه وذلك باطلاع من
جميع أعيان المدينة ما عداه ، وأعطاه للأندى تاج الدين إلياس مفتى المدينة ،
وكان بينه وبين الشريف عداوة عظيمة ، فتوجه صحبة الحاج الشامى ورجع من
آخر عامه ، ومعه الأوامر السلطانية بعزل القممجى وتسفيره ، ونصب أحمد
مكى وتمت الأمور وذهب أهل الشرور ، إلى أن جددها كما يأتي الشريف سرور .

الفتنة الرابعة سنة ١١٨٩

فتنة الدوس ، وسميت بذلك لكثرة ما وقع فيها من الدوس والمهالك

وذلك أنه لما تم للقممجى مراده ، وصار بيده حل الأمور واستبداده ، صارت جماعة المكي بينهم ضحكة ، ومسخرة مستضحكة ، بل إنهم جرى لعقلهم الفاسد ، ورأيهم الخاسر الكاسد ، أن الباشا إنما فعل ذلك خوفا منهم ، وقد تواترت كثير من الخرافات عنهم ، حتى أنهم صاروا مثلا يضرب بهم فيقال : فلان عقله مثل عقل العبيد ، ومن أعجب أمرهم ، وليس بعجب في حقهم ، أن بقرا أدخل رأسه في زير ، فحشر رأسه في ذلك الجفير ، فأشار عليهم كبير من كبرائهم ، وعظيم من عظمائهم ، هو مرّد لهم عند المشورة ، ومعهدهم عند الشورة ، بقطع رأس البقرة فلم يخرج فقال : اكسروا الزير بحجر ، ثم علا صياحه وبدا نياحه ، فسئل عن السبب ، فقال : من يدبركم إذا استولى على العطب ، وهكذا فقس على ذلك وهذا من أدنى أحوالهم ، وحبس أحمد مكي عند الشريف مدة ثم إنه أذن له إلى الحجى إلى المدينة على شرط أنه يلزم بها أدبه ويلتزم بيته ومتعبدة ، ويترك عنه القال والقييل ، ويمشى على أوضح السبيل ، وأن يكون في المدينة طلعة يعنى حكمه لمن أطلعه فجاء إلى المدينة وأوفى بما التزم ، وأصم أذنيه بما يطرق سمعه من اللعن والشتم ، كل ذلك مراعاة لخاطر الشريف ، ولم يزل الحال بينهم في زيادة ، إلى أن أبدت مبادئ الفتن وظهر بعض الشرر ليلة سبعة عشر من صفر ١١٨٩ ألف ومائة وتسع وثمانين فصار كل من الآخر على حذر ، واستطال بينهم الحال إلى يوم الجمعة سبعة عشر من ربيع الثاني من السنة المذكورة ، فتوجه الناس لصلاة الجمعة ، ولما صاروا فيه جموعا مجتمعة ، طلع الخطيب وكان إذ ذاك الأندى محمد بابي وهى أول مباشرته ، ثم لما أتم الخطبة وقام إلى الصلاة بأوفر الهيات ، فهم بين القيام للملك المعبود في حالة السجود ، وإذ بسنارى عليه الجنون طارىء ، صاح في المسجد صيحة عظيمة ملأت قلوب الناس رعبا فظن كل من جماعة القممجى والمكي أن الآخر هجم عليه لأن كلاً من الآخر على

حذر فتشوشت صفوفهم ، واختلفت قلوبهم ، فعمد عذيب قييطى ، وكان من جماعة القممجي إلى طينجة وثورها وسط المسجد فتيقن كل منهم أن الأمر حقيق ، وعمدت الأغوات إلى دكتهم وأخرجوا منها السلاح ، لأن هذه عادتهم فصارت مأوى للفجور بعد أن أسس بنيانها على التقوى والصلاح ، وعمدوا إلى باب السلام وأغلقوه ، وأرادوا غلق باب الرحمة فما استطاعوا غلقه لكثرة الزحام ، لأن الناس وبالخصوص المكي وجماعته ومن هو قائم لهم بالانتصار وكأهل القلعة والانقشارية والاسباهية حصل لهم ضيق عظيم وصاروا كالغار في الغار ووقع بكثرة الرحمة دوس عظيم بياب الرحمة ، وامتلاً منه الطول والعرض ، حتى صارت العتبة العليا منه أرض ، ومات في ذلك المجال نحو ثلاثين من الرجال ، ولما رأى أولئك ما دهمهم من هذا الأمر العظيم عمدوا إلى باب السلام وكسروا مغلقة بالحسام ، ثم فتحوه وخرجوا بعد أن حلوا في رعة النكال وولجوا ، وحصل بسبب ذلك فرج عظيم على الناس ، وزال عنهم ما كان دهمهم من الباس ، ثم جاءوا أفواجا إثر أفواج ، ومسكوا المحكمة السلطانية ، والمدرسة الكائنة برباط السلطان المطلتين على المسجد الشريف ، بعد أن علا أهل الحارة ومن كان على شقاقهم المنائر والمسجد ، وصاروا يترامون هؤلاء من نفس المسجد وأولئك على المسجد ، وقتل رأس الفتنة على ما يقال الجاوش على قلبي وغيره ، وطال بينهم الحرب ، واستمر الطعن والضرب ، واشتد على المسلمين الكرب ، وصار المسجد مأوى للفسوق والعصيان ، ومنع منه أهل الإيمان ، فتجدد بما فعله فيه العنيد ذكر الفاسق اليزيد ، ولما طال المطال ، واشتد الحال ، وتزايد أفعال أهل الضلال أنشد الشيخ أحمد الجامي مرتجلاً في الحال بلسان المقال متوسلاً وشاكياً ذلك للنبي ﷺ وعلى صحبه والآل :

وحتى مَ هذا الحال والطعن والضرب
يهدده فيها من لا يهدده الرعب
لهم درجات فوق غيرهم تربوا
أشايها مرفوعة ما لها نصب
ومستمع في مسجد يُشهر العضبُ

إلى مَ رسول الله يشتد ذا الخطب
وكم هتكوا ريع الأمان بطيبة
وما بال أهل العلم والشرف الأولى
بها لم يقم وزن لهم وخيامهم
وكيف يبرأى منك ياسيد الورى

ولا يرتضى ذكراه شهيم ولا ندب لها حرمة فيهم وعنها لهم ذب على الله في ناديك واستسهل الصعب لذات سميت أين التخصع والحب بنسبته أين المهابة والقرب إذا كنت أنت الخصم والحكم الرب وسل تعطه قل يستمع قولك العذب متون ذرى العليا ألك والصحب خطيئته والعين كالعين تنصب إليه وفي تلك الشدائد ينكبوا تقول أنا والعجم تسمع والعرب وللنار نادى هؤلاء ولا عتب يشيب لها الطفل الرضيع الذى يحبو يعاملنا باللطف فالأمر ذا صعب إذا ما له عنها طريق ولأدب ولا ضمة ذاك الستار ولا الحجب مروّتهم فى الدين حيث لهم قلب ولم تنزوى عنهم أثيلة والشعب حليفهم إن قام أو قعد الخطب مجاذبت أضحت فيا بشس ذا الجذب يسوغ لهم والحرب حبلى ولا طب وحصنا حصينا عافه الفرض والندب زمامك فيه ليس ترعى ولا القرب وحرمة الإرجاف والرعب والرهب يشاهد توقيد الوغى حين يشتب وقد سبق السادات والأنجم الشهب

ويصدر فيه ما يمج سماعه كنائس من لم يعبد الله وحده فما لأناس مسلمين تجبروا فأين حياهم منك أين احتشامهم وأين احترام الستر أين افتخارهم وكيف لهم وجه مع الله فى غد وقال لك ارفع إذ خررت لسجدة وتعلق فيك الأنبياء ومن علوا وكلهم نفسي يقول معددا وما لهم إلا جنابك يهرعوا وذلك فى فصل القضاء إذا لها ونادى المنادى هؤلاء لجنة إلى غير هذا من أمور مهيلة نعوذ به منها ونسأله بأن فياويل من ساء الجوار وسحقه ويابعدده ياليت فى الكون لم يكن ومن عجبى قوم به لم تهزم يتيه بسعدى والعذيب وبارق وصوت المثنى والمثالث لم يزل وأهذاب أطراف التماضى لهم بها وفوق الذى أحكيه عنهم فكيف ذا ومسجده السامى غدا جب خانة وليس له أضحى مقام وإنما وقد حرم الجيران طيب منامهم فعتبا على حظّ به غير مرة ولم يسترح من ذا العيان وذا العنا

لعمرى جال مفرقه كتب
 عواقبها من زانه العقل واللب
 لشاهدت طوفان المصائب ينصب
 على ساقها أصل فيصفي لها القلب
 فقام لتعمير له ذلك الحزب
 وشعبذة من دونها اللهو واللعب
 على من يعاديههم أقامت به النجب
 ولا سرد ثلم الرجال ولا الحزب
 يطيعوه أو يلغى له الأكل والشرب
 وأين الغيور الحر والحازم الخصب
 ولا قوة إلا به وهو الحسب
 يذوب لها الجلمود واليابس الصلب
 وقامت للذغ الناس حياتها الجرب
 وحق عليها الحزن والنوح والندب
 غدا حالكا والخلق عمهم الكرب
 به الله لا يرضى ولا أنت يا حب
 وبين يدي من لاسواه لتارب
 وتطحن ذا ذنب ومن لا له ذنب
 غريبا ومن يقبض عليه وينكب
 لقد أخبرت عنه الرسائل والكتب
 بأنك بحر لا يكدرك الغرب
 لأغمدت البيض البواتر والقضب
 رزاياه من كل الجوانب تنصب
 بوطىء ازدحام الناس ضمهم الترب
 بلادك واسترزاهم الشرق والغرب
 وغلّساتها^(٥) اللاتي بها رحل الركب

قضايا وأحوال إذا ما تحققت
 يقهقه منها كل وعد وبختشى
 وحقك لولا الحق حف بلطفه
 فياليت شعرى هل لها في قيامها
 وهل هو هدم في الشريعة واقع
 وإلا فأغراض النفوس وحظها
 فياليت ذاك الحزم والعزم بينهم
 وبالييت ما أبدى التثمت بينهم
 وبالييتهم إن جاء باشا لديهم
 فواللهفى أين الرجال بطيبة
 فلا حول فيما قد سعوا في انتهاكه
 ألا يارسول الله غارة غيرة
 فبلدتك الغراء زاد خرابها
 وقطعت الأسباب فيها وعطلت
 وصار يحل الأمر خوفا وحالها
 وجرد سيف البغى والمنكر الذى
 إذا كان في حال السجود لجمعه
 تدور رحي الهيجا لا وردها
 فلم لا يعود الدين هذا كما بدا
 كقابض جمر في يديه كما به
 وما غر أهل البغى غير مقالة
 فلو شاهدوا أمواج انتقامك فيهم
 ولا نثروا ذاك الرصاص وصيروا
 ولا سبب كانوا لخلق كثيرة
 ولا نقضوا تلك العهود وأرجفوا
 فلا سقيت ساعاتها وساعاتها

(٥) وغلّساتها : يفتحين ضرب من الخنطة

ولا رعيت منها المطالع إنها
وحينئذ فالقصد حل لعقدها
وحسن ائتلاف بينهم والتفاته
ويذهب حزن الحزن عنا وينجلي
وتحى عبادات بمسجدك الذى
وترتع مع ذيب شياه تعجفت
فأنت الذى تدعى لكل كريمة
فإن لم تداركنا وتنظر ما بنا
وإن نحن قارفنا الإساءة حيث لم
فيابك فى الصفح الجميل وفى الرضا
وما خوفنا إلا بزلة غيرنا تنقل
فليس بيدع ذاك فى أرض طيبة
فلا زلت غوثا فى الملم وغيثنا
عليك صلاة الله ثم يحوزها
وتابعهم ملاذ بانباب لائد
وما أحمد الجامي المقصر من رأى
وليس لها من ذاك حسن تخلص
بلاغية فى لكرب قال مؤرخا

ثم تلاه الفاضل الماجد سيدى وسندى الكامل الوالد ، صاننا الله وإياه
من رب المنون وأسعدنا سعادة الدارين بجاه صاحب السر المصون صلى الله عليه وسلم وشرف
وكرم .

أخى اذا ما جئت فى سوح أحمدا
وناد وقل ياسيد الرسل نجدة
عسى نفعة منكم عسى لمحة بنا
تضرع له وامدد إلى نحوه اليدا
تفرج عنا ما أقام وأقعدا
تحف عسى المولى يجيب لنا النداء

وشتت جيش الصبر طراً وبددا
 ونغص عيش المؤمنين ونكدا
 فله ما وليّ ولله ما بدا
 وإما قلوبا قد أذاب وأكبدا
 على حربنا فاستنفرت نحونا العدا
 وحزن عظيم كلما رث جددا
 وإن لم تداركنا هلكننا فأنجدا
 نبئت ولا ندرى الذى صائر غدا
 وأشجار ظلم أثمرت عله ودا
 مرارتها أدنى المصائب والردا
 تركنا حيارى قط لا نعرف الهدا
 بجاهك يارب السماحة والندا
 عداهم وأضحى كل وغد مسودا
 وأصبح ذو رفض عزيزا وسيّدا
 وكم من لعين منهم السيف جروا
 وغنى مغنيتهم لذلك وغردا
 ومن جر أمسى بالتراب موسدا
 بأن يملكوا أرضا وداراً ومسجدا
 سللنا لنصر الرفض سيفاً مهندا
 لما قد أتى فى المؤمنين من الردا
 وجال أخو رفض هناك وعريدا
 فمن رام تعييدا فقى اليوم عيّدا
 وسارع للسّد القديم وهديدا
 بحرق لياب عندما الليل هودا
 وظنوا بأن الله تاركهم سدا
 وتخريب دور المؤمنين أولى الهدا

لقد طال هذا الكرب واشتد عسره
 وكدر وجه الدهر بعد ابتهاجه
 وأذهب راحت النفوس جميعها
 ولم يبق إلا أن يذيب رسومنا
 كأن كروب الدهر أجمع أمرها
 هموم غموم ثم قلة راحة
 ثلاثة أعوام نكابد همها
 وكم يوم قد قلنا وكم ليلة بها
 ومن قبلها قد كان قحط وشدة
 وكم جرعتنا كأس صبر وحنظل
 فرادى ومثنى حيثما ثم سكرنا
 فنسأل رب العرش تفرّج كرينا
 ومد شق أقوام عصاهم وشمّتوا
 تهلل وجه الرفض بعد اغبراره
 يجر ذبول التيه فى أرض طيبة
 وسروا سرواً لم يسروا بمثله
 وقد مرّ دهر لا يجرون ذيلهم
 تمنيم يا سيد الرسل نفسهم
 فسوف إذا طال المطال لأننا
 وقال لهم داعى الضلال تباشروا
 فقاموا جميعاً واستفزوا زجالهم
 وقالوا لهم قد هلّ عيد انتظارنا
 فبادر ملعون على الفور جهرة
 وأعقبه من بعد أبناء متعة
 ولم يختشوا من سطوة القهر فيهم
 وما قصدهم إلا انتهاك محارم

وجد مجوس وابسى تهودا
على قرعهم والأصل لعن تأبدا
على مثلها من مثلهم ذا ولا عدا
من الله محتوم عليهم مؤكدا
يدومون في هذا الشقاق إلى مدا
من الحزن والكرب الذى قد ترددا
ويا خير من نودى سريعا فأنجدا
على أهل حق بالجوار تأكدا
فلا زلت مأمولا ولا زلت مقصدا
تبكى بذكرها حديدا وجلمدا
وأضحت وصار الوجه منها مرمدا
تناهت بعلياك سماكا وفرقدا
وحاشاك من خوف وحاشاك من ردا
لقد عاد هذا الدين حقا كما بدا
سوى بالذى تعنوا له الخلق سجدا
ليصبح سيف الدين في الكفر مغمدا
وما ناح قمرى الأراك وغردا
وسلم تسليما مدى الدهر سرمدا
وما قام منشيا بياك منشدا
يرجى فكن عوننا له ثم مسعدا
لقد أشمتوا فينا أعادى وحسدا (١)

وما منهم إلا لعين وملحد
حفاة عراة كالكلاب تناجوا
فلو لم يكن هذا الشقاق لما جرى
وما كان ذا قصد ولكن مقدر
فلا تسحبوا يا معشر الرفض أنهم
فيا سيد الكونين صار الذى ترى
ويا كهف من يلوى عنان بياه
تلاطم بحر الكرب واشتد موجه
أرامل أيتام ضعاف أغثمهم
فيا عين سحى بالدموع فطابة
أيا بلدة ضاعت نضارة حسنها
تواضعت أم وضعت من بعد رفعة
فحاشاك من ذل وحاشاك من فلا
أفى منبع الاسلام يصدر مثل ذا
فلا حول فيما قد أصاروا وقوة
عسى نظرة منكم تؤلف بينهم
فصلى عليك الله ملاح بارق
وآل وأصحاب كرام أجلة
وما هل ويل الجود منك عليهم
حسبن ابن أنصار إليك انتماؤهم
ومع غاية الإحصاء قال مؤرخا

ولما طال بالناس الحال ، واتسع بالبأس المجال ، وطارت بهذه الفتنة قطا
الأخبار ، ورسبت فى أساس ذرا شواخح الأقطار ، ورثاها الطاعن والمقيم ، ووفى
بهجة حسنها المروى بماء التسنيم ، أرسل الشريف سرور السيد حسين العلوي من
طرفه لهذه الشرور فوصل إلى المدينة لخمس بقين من شعبان وعقد بينهم الهدنة إلى

مجيء الحاج الشامي ويحصل الكفوف والكاف ، فلا أحد يتعدى على أحد بنوع خلاف ، فتموا على هذا الأمر ، وانشرح بذلك الصدر وسرت فيهم نسائم المراوحة ، وانعدت بينهم التولية والمراوحة ، بعد أن دامت فيما بينهم المبارزة والانتقام ، وتزلزلت بالمنازلة أقدامهم والأجسام ، أربعة أشهر وثمانية أيام ففتحت المساجد ، وقام لله العابد ، فلا ترى في مسجده الشريف بعد تلك الفسوق غير راعع أو ساجد ، أو قانت أو عابد ، أو عاشق لجمال الله واجد ، وكان من خير الأندى تاج الدين إلياس أنه لما توجه إلى الدولة العلية بالعروض السلطانية ، أتت على ما فيها من عزل القمقمجي وتعزيره ، ودحض شوايخه وتبذيره ، وتزريق صحبة ولايته وتقريره ، وحمله إلى الدولة وتسفيره ، فورد بهم على والي الشام ، محمد باشا العظيم الهمام ، وأتيا معا صحبة الحاج ، إلى أن قطعوا في السير المهامه والفتجاج ، ووصلوا الجرف ونزلوا به على حسب العرف فطلع إليهم عساكر المدينة ومن جملتهم أحمد مكّي مع أغائه بكامل الزينة ، ولم يطلع القمقمجي وكأنه أو جس في نفسه خيفة ، فلما لم يره الباشا سئل عنه عسيفه ، فتعذر له عنه ، فلم يكن مقبولا منه ، وأوهمه أنه مشتاق لرؤياه ، وأظهر الحقد على ابن المكّي لما رآه وقال : إنا نفينا هذا لما عاداه ، ونصبنا ذاك وآويناه ، ويجانبنا البعاد ، وعدم التودد والترداد ، وأنا عضده ووزيره ، وعصمته ونصيره ، فلأفعلن بابن المكّي من النكال زيادة على الأول القيود والأغلال ، ولا يكون ذلك إلا بحضرة المشار إليه ، ليكمل له السرور بزيادة الوبال عليه ، وحرص على مجيئة غاية التعريض ، بتصریح القول والتعريض ، فنزل إليه من يعتمد عليه ، وأشرفه على ذلك الأمر ، فطلع وعمر ، وفي الحقيقة أنه بخبايا الأمور غمر ، ولما وصل إليه ، وتمثل واقفا بين يديه قال له : قد أبطأت علينا ولم تصل سريعا كعادتك إلينا ، ونحن في انتظارك مدة خروجنا من الشام إلى نهارك ، فتعذر له بعذر باطل ليس تحته طائل ، فقبل عذره ، وأظهر له غدره ، ثم أخرج فرمان السلطاني ، وقرأ على رعوس الأشهاد ما بين قاص وداني ، فكان مضمونه التعذير ، والعزل والتسفير ، والوبال لبعض جماعته والنكال ، بما يقتضيه الحال ، ولما تمت قراءته بين الحاضرين ، وأخذته رامقة أبصار الناظرين ، أخذته الرعشة والدهش ، وتمنى أن لو حمل على النعش ، وتيقن أن ليس له ناصر

ولا وقاية ، وتلا عليه لسان الحال : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنجِّيكَ بِيدِنَا لِنَتَّكُونَ لِمَنْ خَلَّفَكَ آيةً ﴾ (١) . وأخرج له القيود والأغلال ، فقيدها (يحجل بهم بين الرجال في ذلك المجال) وأخرجت الخلع والتلابيس ، وطرحت على الكنتخذا أحمد مكى وغمر فيها إلى التلابيس وأتيا مع الباشا إلى المدينة في الألاى هذا كالحافة به الزبانية والآخر كالبابى ، وهذا في نعمه العروس ، وذاك في ليمه في شدة البؤس ، وغالب قلوب الخلق متغيرة عليه لما صدر من المفاصد المنسوبة حالا ومآلا إليه وقلت :

أسدان ضرغامان كل منهما شاكى السلاح ومضرب الأمثال
لكن من لبس الدروع مفاضة فرق وبين مصفد الأغلال
وقلت أيضا اقتباسا من القرآن الكريم .

لنور روضة جنة فيها قطوف دانية
ما مثلها نور اللظى تسقيه عين آنية

واستمر عند الباشا في العذاب الشديد ، والنكال الأييد إلى أن بلغ من الزيارة غاية الوطر ثم الوطر ، ثم اقتعد خارج السفر ، متوجها بذلك الغمام الركام ، وأصبحه معه إلى البيت الحرام ، وقبل وصوله إلى البيت الشريف بالسرور ، وصل إليه بريد من الشريف سرور ، بأنك سلمه إلينا ، وإلا فلا طريق لك علينا ، فسلمه إليه ، ورجع عما عزم عليه ، وجلس إلى أن قضى حجه ، وعجه وشجه ، وتمت منادمة أنسه ، آب قاصداً مدينة قدسه ، ووصل بعد الإقامة مصحوبا بالسلامة ، وبعد أن صلحت البلاد ، واطمأنت العباد من الفساد ، وزادى منادى الحبور حي على اصطباح كاسات السرور ، وانساب سبب شآبيب الراحة خلال الدور ، وأنوات قرع الراحة فهزمت حالك ظلام الديجور ، وغنت الورق بأنواع الألحان على أغصان البان ، ترنم بصوته الرخيم محبنا الصديق الحميم ، المرحوم الشيخ أحمد الجامى الفاضل السامى وهناها بقدم تاج الدين إلى محمد باشا بالفرايين ، فيالها من فرحة لو تمت وواها لمصائبها التي في المآل عمت فإننا وإنا

إليه راجعون ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١)

قدم تاج العلا بالنصر والظفر
 عقود سيرتها في سائر القطر
 لحيث ألفت كما قد جاء في الخبر
 تفريق أيدي سبا من أعظم العبر
 ينوح فيها غراب اليبين بالكدر
 وحربوا الله والمبعوث بالسور
 ومهبط الوحي مأوى العلم والنظر
 في حربها أين أنت اليوم فاعتبر
 في طيبة دمت لا تبقى ولا تذر
 والبعض قصدك نفيا لو إلى سقر
 ولا لمتشع بالفضل متزرن
 أستار حزبك بين البدو والحضر
 قد خرقت لك آذانا بمزدجر
 أذابه الله ذوب الملح في النهر
 فكيف لو أسعفت بالقصد والوطر
 م القوس في الخلق من مثر ومفتقر
 فاثبت لقهر رجال الوقت واصطبر
 رمى به الأمل الخوان في الخطر
 ظل الآله عظيم القدر والقدر
 د المصطفى عونها بالتبر والبتر
 هابته أسد الشرى فضلا عن البشر
 وصانها من صروف الدهر والغير
 كمنت قنبش بالصمصامة الذكر

يهنيك يا بلدة المختار من مضر
 ونظم أحوالك اللآتي قد انتشرت
 ونفى ما حل في ناديك من خبث
 حتى غدوا عبرة بين الحجيج كما
 وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم
 هذا جزاؤهم بالنصر حيث بغوا
 أليس قد أصبحت داراً لهجرته
 فقل لمن خسر الدنيا وضررتها
 أين الركوب الذي يقضى بأنك أن
 فالبعض تصلبهم والبعض تقتلهم
 ولم ترع لأهل العلم مرتبة
 حتى ركبت ذلول الذل وانتهكت
 أما سمعت أحاديث الوعيد أما
 كمن أراد بسوء أهل كاظمة
 هذا وما كانت الأقدار مسعفة
 لكنت تمرق من ذل إليه مرق سها
 وحيث عاثت لك الآمال خائبة
 واعرف نتيجة خفّار الذمام ومن
 ولم ييال بحامي الملك حافظه
 مقلد المنن العظمى نخور بلا
 طوق الخلافة سلطان البسيطة من
 عبد الحميد أدام الله دولته
 واعلم بأنك لو في أي مزبلة

قرض بقرض كما أبداه مهذوم
 عن طيبة وكذا عن منبر قدما
 وعن وقوف لقد أمسى يفضله
 أعنى به حاطب الليل المخبط في
 والمدعى طول باع في الفنون وفي
 ومن عليه أتى قول الذين مضوا
 تُزَيِّن الشعر أفواه إذا نطقت
 عبيد درهمك المحقوق لا برحت
 ولا أراه بروق الحى من أضمر
 مع أنه الوغد لما خاض أبحرها
 وأن فجراً دعاه كاذب أبدا
 وليس يعرف أكل الزنجبيل ولا
 ولا لسبك القوافي من معادنها
 بويهيم أنعام تنزه عن
 أنى له يجتنى أزهار روضتها
 ما ناله غير ما يقضى بحطته
 نعم ولوغ له في عرض سادته
 بما جلته له مرآة ذاتهم
 ولا عجيب فهذا شأن كل إناء
 وشأن من بعيوب الطبع يشهد ما
 وإنما عنه صفحا أضربوا وآبوا
 حفظا لمقدارهم من كل ناقصة
 وصوت دُرهم المَكْتُون خيفة لا
 ولو يكن في تعاطر الهجو منقبة
 لكان يسمع ما يصمى مسامعه

للرجم شاعرك المطرود في الأثر
 وموقف بقيام الخمس مزدهر
 على الجميع بياب الحجرة العطر
 هجائه خبط عشوا أقرع النظر
 تدوينها وعلوم الأنجم الزهر
 محكما صادق الدعوى بلا نكر
 بالشعر يوما وقد يزره ذوبخر
 في أصغريه رماح العى والحصر
 نافية مبعده عن روضها النضر
 دلت على أنه في غاية القصر
 وبرقة خلب والزند غيرورى
 يدري حقيقة ذاك الطعم كالحمر
 وسبك عسجدها من بوطه^(١) الفكر
 ذوق يفرق بين الدر والمدر
 أو يجتلى من محياها سنا القمر
 منها وما يزدريه بين كل سر
 وغيرهم بلسان ماذق مزر
 من كل وصف ذميم فيه مستتر
 ناضح بكباء فيه أو قدر
 في الكون من عالم الأشباح والصور
 عن رميه بجمار الرجم في الفقر
 عنهم تسير بها الركبان في المصر
 يضيع في مزيلات البوم والبقر
 أو فخرة يرتديها كل ذى حبر
 وما بصيرته بعمى مع البصر

(١) البُوطَة بالضم : الذى يذهب فيه الصائغ . القاموس (بوط) ٣٤٩/٢ .

فوضحة عزرة من أكبر العزرة
 يكن جواباً له أن كان عنه درى
 ثدى العلوم وأحيوا الليل بالسهر
 بلا مقدمة تقضى إلى الهجر
 محض وأنها من أعظم الشهر
 فهم بطيبة مثل الشمس والقمر
 لديه وجه قبول غير منكسر
 أضحى توصلنا عقداً من الدرر
 رغم العدو وغم الكاذب الأشر
 وفصم عروة هذا البؤس والضرر
 فرش السرور ونجنى لذة الشمر
 بخير كفيها في الدوم معتبر
 ما قلده أيادى الدولة الغرر
 عين القلادة فيها واهب البدر
 والمنجز الوعد والإيفاء بالندر
 وزاده بسطة في العلم والعمر
 أحكامها حين وافى عمدة الوزر
 عتواعتوا وقوى عصبية النفر
 بعد التمتري بذاك المهمة القفر
 غب الإضاحة للفرمان حين قرى
 له الفخ أصبح بين الصحب والعشر
 به تباغت أهالى الحج والعمر
 بين الحجاز طليقا زاهر الطرر
 عنها المدارك حسرى أى منحدر

وما يصيره بين الورى مثلا
 لكنّ للممتبى (٥) شاهد عجا
 وحسبه كونه رقا لمن رضعوا
 ومن بأقبح قبح فيه خصهم
 لينجلى أنه فرخ وابن زنا
 سل عنه من يعرفوا تحقيق نسبته
 هذا ولما أراد الله أن لنا
 ولا تضيع سدى فى بابيه وبه
 وأن إبان تنفيذ الأمور على
 هيا لنا سببا فى حل عقدتنا
 لكى نُقلب فى ظل الأمان على
 وهو التصور للفتوى التى حظيت
 أعنى محمدا المولى الأمين على
 وصالح المؤمنين الفاطنين بها
 والبازل الجهد فى تنظيم بلدتنا
 ومن تطول أبقى الله دولته
 بمئة الفرمانات التى نفذت
 جمال وجه أولى الأراء قاهر من
 ومن كمثل نبات التمش صيرهم
 ونفذ الأمر فى تقييد راهبهم
 والحال لم تنتطح شاتان منذ عليه
 والى دمشق وحاميا محمد من
 لا زال وجه التهاني من ترده
 وكم وكم من مهمات قد انحدرت

(٥) هذا البيت هو :

وإذا أتتكَ مذمتى من ناقص

فهى الشهادة لى بأنى كامل

قد حاكت الفلك الدوّار في الصور
أو وافقت للتجلى ساعة السحر
به المدينة حين العود من سفر
مع ذبيها شاة رعى النبت والشجر
وهزت العطف من تيه ومن خفر
سحاب شكر اجتماع الشمل كالمنظر
من بعد قطع فيا في السهل والوعر
على أتم نظام غير منكدر
وعز رتبها المرفوعة السرر
وعين إنسانها الفتاك بالخور
ومن بتاج حلاها الجوهري حرى
أيام دولته الغراء كالزهر
ناواه ذبح رقاب الشاة والجزر
أن لا يذوق لهاه جرعة الكدر
في طيب عيش رغيد يانع زهر
وأن يؤمنه في السرب والحجر
بطاين السوء في الآصال والبكر
يجبه ولما يرضاه من وطر
حماة حومتها بالبيض والسمر
فيهم يشمت ذو بغى وذو فجر
أساسه مثبت الأركان والجدر
حظ به واعتناء غير منحصر
أمان روعة ذي رعب وذو ضجر
بلاده من ولاة الزينغ والبطر
جازا نيبا به عن قومه الخير
بستان مرقده المعشوشب الخضر

تخالها حين تبلوها وتخبرها
أو أن سعد سعود الحظ قازنها
وأصلها همة الشهم الذي ابتهجت
وفتحت سرعة أبوابها ومشت
وألبيت من حلّى الأمن أسورة
وانهل من جيرة حلّوا بمعهدا
إذ رده الله مسرورا ومنجيرا
بدولة المنصب الميمون طائره
وهو التشرف بالفتوى وخدمتها
إنسان عين المعالي ورد وجنتها
بل قد توعم رباها وزرنها
صدر الرئاسة تاج الدين لا يرحت
وسعد سؤدده لا زال ذابح من
والله سبحانه المأمول نائله
وأن يديم لنا إشراق غرته
وأن يمتعنا طول الزمان به
وأن يصون حماه ذو الحماية من
وأن يوقفه ذو المكرمات لما
ولا يضميم لنا حكام بلدتنا
وأن يؤلف ما بين القلوب ولا
ويجعل الأمن هذا لم يزل ابداً
بمن لعينية اكرمنا وقام لنا
حامى حماة مبيد المفسدين به
المصطفى المجتبي الهادى الغيور على
جزاه عنا إله العرش أفضل ما
ودام منسكبا وبل الصلاة على

والآل والصحب ما الأكوان لاح لهم
وما صفت طيبة ورداً وقيل لها
عجيب صنع قضاء الله والقدر
يهنيك يا بلدة المختار من مضر

* * *

الفتنة الخامسة سنة ١١٩٤ أربع وتسعين بعد المائة والألف

فتنة الشريف سرور ، وما أحدثه في المدينة من الشرور

وسبب ذلك : ما قدمناه من قصة القمقمجى ومعاذته له ، ولما جاء الأمر من الدولة العلية بعزلة وأتى به محمد الباشا إليه مغلولاً في القيود جلس عنده مدة ، ثم أذن له في المجي إلى المدينة المنورة وأسر إليه أنه يأتى لنصرته ، ولكن حرض عليه في أن لا يحدث شيئاً ما ، ولا يتعرض وأن تُعرض له ، فجاء إلى العوالى وأرسل إلى حكام المدينة يستفسحهم في النزول إليها فاتفقوا على أن ينزلوه ، ولكن يشربوا عليه عدم التعرض لشيء ما ، وحرصوا عليه في لزوم حدة وحفظ لسانه ، ثم في ليلة السبت سنة في محرم افتتاح سنة ١١٩٠ ألف ومائة وتسعين توفى الكتخدا محمد فليلي ونصب بدله كتخدا القلعة أبو بكر حلبي ، واستمرت الأحوال رائقه ، والمدينة يبهجتها على سائر المحاسن فائقة أكثر من أربع سنين إلى أن كان يوم خمسة في رجب سنة ١١٩٤ ألف ومائة وأربع وتسعين فما فطنوا إلا والشريف سرور ، قد وصل إلى المدينة فجأة وهم على غرور بخيله ورجاله ، وعدته وآلات قتاله ، فخرجوا إليه ملاقين ، وللعفو طالين إلى أن نزل العنبرية ، فمكث بها ثلاثة أيام سووية ، ليفرغوا له بيوت الواجحة البرانية ، وأنزل عرضية المناخة السلطانية ، وهو مطوى على قبح النية وسوء الطوية ، فما كان بأسرع من أن دهش الناس ، وكاد أن يقع بهم البأس ، ثم اجتمعوا جمعية ، وأتوا إليه في الحجرة الشريفة المرضية ، ووقعوا في مراحمه وعرضه ، بأن يسمح عنهم ويحقن الدماء بعد أن قيلوا بين أرضه وقالوا له بصریح الكلام أن من كان معاد يك يعنى الفليلي قد ذاق الحمام ، وصار في الثرى رمام ، فقال لهم : عفى الله عما مضى وتجاوز عنكم ما سلف وانقضى ، فخرجوا من عنده فرحين وباللعفو مسرورين ،

واستظمن^(١) الخلق بالبيع والشرا ، وحصل الأمن أمام وورا ، وأصلح بين القممجمي وبينهم وقال لهم : قد استوفت كل طائفة من الأخرى وبينهم ، ومكث بالمدينة من أيام مراعيها بها الذمام إلى أن شاع أن قصده الظعن ، وأعطاهم من الإكرام عطاء معن ، إلى أن ظهرت منه الخيانة وهي من آل البيت النبوي عجب ، قبيل الزوال يوم ستة وعشرين من شهر رجب دعى جميع حكام المدينة فأتوا إليه مستظمنين^(٢) بالوقار والسكينة فما راعهم في الحال إلا هَمَّتْ عليهم في مجلسه الرجال ، وكبلوهم في القيود والأغلال ، وأتت عساكره أفواجا إثر أفواج ، كل منهم يظن ظاهره أنه الأورق إذا هاج ، وفي الحقيقة أنهم همج أجاج ، يَحْتَشَى من الحرب نهارا فضلا عن الليل الداج .

جاءت جماعته العبدان مع عرب سود الوجوه عراة الإست كالإبل وحين ما عاين أهل القلعة هذا الأمر ، أغلق من كان داخلها عليهم الباب وعمدوا إلى الأبراج وحرروا المدافع والبنادق على عرض الشريف ، وما كان بها غير نحو عشرين من الرجال ، وما بقى فأرامل لا يحصون وأطفال ، وما بقى من أهل القلعة فمستقرون^(٣) على العهد ، والميثاق والوعد ، ولم يظنوا أنه مضمّر على النفاق ، وقد امتطى حادة الشقاق ، والا لكان له ولهم شأن ، وأروه منازل الأقران ، ويقال : إن الشريف لم يفعل ذلك الأمر المحيف إلا بأمر أوجب ذلك عنده ، هو الذي نكث عهده ، وذلك أن مصطفى بن الكتخدا محمد قممجمي كان هو المتحرك لأبيه في هذه الفتن ، وقد ساعده على ارتكاب المحن ، وأعاناه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ، ولما وصل الشريف سرور المدينة استنظر منه الإنجاز بالموعود بأن ينتقم لهم ممن كان معاديتهم وينصب والده كتخدا نوبجتيان كما أولا كان ، فلم يلح لهم من ذلك الأفق ومبيض بارق ، وغصوا بريق ظماء غيظهم فكانوا بين

(١) هذا اللفظ ليس فصيحا والصواب أن يقال : « اطمئن الخلق » .
واخمائته الرجل اطمئنانا وطمأنينة أى سكن . انظر الصحاح (طمن) ١٢٥٨/٦ ، والقاموس (طمن) ٢٤١/٤ .

(٢) في المخطوط : « فمستقرون » .

مخنوق وشارق ، عمد مصطفى المذكور وساعده بعض أهل الغرور إلى كتاب على لسان أهل المدينة مزور مشحون بالخدع والتلايبس ، والخوض في رحلة البهتان إلى التلايبس مضمونه من أولئك الأعيان إلى شيخ حرب قد علمت ما وقع بيننا في بعضنا بعضا من الشرور ، وما وقع بينكم بعضكم في بعض من مدلهمات الأمور ، وكل ذلك من وسائل الشريف سرور ، فغاية الأمر وما فيه إرغام الغمر إن أردت اغتنام الفرصة ، فهلم إلينا من خارج ونحن من داخل كي نرهقه الغصّة وبصير بعدها عبرة لمن اعتبر وقصة ، ولك في عندنا غير ما تحصله منه جانبا من المال وحصّة ، فلا يكون جوابك إلا المجيئ ، وقطع ذلك الغصن الرديء ونحو هذا من الخزعبلات الدالة على نفاق قائله والخرافات ، ثم عمد إلى أعرابي من الجبل قد أعطاه وأعظم له الجعل وقال له : إذا كان الوقت الفلاني تلقاني مع جماعة ناحية النقا التحتاني ، فمر بالكتاب علينا ، ولا تسلمه إنكارا إلا بعد جهد جهيد إلينا ، ولك الجعل وافرا وإن شئت خذه حاضرا ، ثم عمد إلى بعض خواص الشريف ، وقال لهم : إنكم قد استوعبتم المزارات وهاهنا قد فاتكم مقام منيف وهو مسجد السقيا فلا تفوتنكم فيه الزيارة ولو لحقتكم الغارة ، فهو مسجد عظيم ، وفضله جسيم ، فيه يستنزل المطر فيعم أهل الأضاحي والوبر ، وكم ببقيعه من صحابي جليل كأبي سعيد المقبري وغيره ومن تابعي فضيل ، ولم يزل يمثل لهم يزخرف القول وغروره حتى استولى على عقولهم بخفي أمره ، فخرجوا معه على الوعد مسرعين ، ولذلك المكان طالين ، وحيث انتهى بهم الجلوس في ذلك المحل المأنوس برز لهم ذلك الشيطان في زي إنسان ، فسألوه عن المحتد وأين المقصد ، فزوى عنهم خباياه ، وفطنهم لبعض خفاياه ، فعمد إليه مصطفى وقال له : اظهر ما بطن من أمورك واختفي فوجد وأنكر ، واستعد للهروب وبكر ، فمسكه بالتلايب ، وقال له : ضع عنك الأساليب ، ثم التفت إلى الجماعة الأعيان وقال لهم : هذا متخفي ولي به خبرة سابقة أنه عين من أعيان جماعة ابن مضيان ، وهو لكشف أخبار البلاد عينة ، وقد بان والحالة هذه كذبه ومينه فهلموا إليه لا يهرب فلا يسير لنا سلطة عليه ، فقاموا عليه ، وأحاطوا به من خلفه وبين يديه وأجحفوه بالضرب وهددوه بالقتل والسلب ، إن لم يخرج لهم ما عنده ، فأخرج

لهم الكتاب بختمه ، ففضوه وقرءوه ^(١) ففهموا معناه وأحاطوا على ما حواه فحواه ، ثم قام به وقاموا وسبحوا عدوا في الضلال وعاموا ، وأتوا به قاصدين الشريف سرور فأخرجوا له الكتاب كما هو ولما قرأه طلعت عيناه في أم رأسه ، وكشر أنياب أضراسه ، فزادهم ذلك المفسد على البله طينة وحط بما شاء كيفما شاء على أولئك من الهزيمة فأرسل الشريف ودعاهم ، وغدر بمن ذكرنا ، وفي ظلمات الحبس رماهم ، ولما كبس جماعته على القلعة لم يكن لهم جواب غير تسويد وجه شريفهم بالخيانة ، ورمى الرصاص فقتلوا منهم جماعة وساعدتهم العناية .

قومي إذا خاضوا العجاج حسبتهم	ليلا وختلت وجوههم أقمارا
لا يبخلون بزادهم عن جارهم	عدل الزمان عليهم أو جارا
وإذا الصريح دعاهم لمليمة	بدلوا النفوس وفارقوا الأعمارا
وإذا زناد الحرب أورت نارها	قدحوا بأطراف الأ سنة نارا

وليته كشف عن مكنون ذلك الكتاب ، إن صح واستبان له الخطأ من الصواب ، أو كان ذلك مكنونا في جوف ضميره ، وذلك لاشك من علامة فجوره ، فكم ذهب فيها من صالح ، وكم دكت شم شواهد صناديد الرجال وصار أساس بناء الكل فيها طايح :

لكن جزى الله أبطالا بطيبة إذ	قاموا عليه لما أبداه من دخل
خيلا كثيرا عظيما لا يعد ولا	يحصى مدى الدهر والأزمان والمثلل

وحرروا المدافع على صيوانه وجميع عرضيه وخيامه ، وبيوته التي كان نازلا بها في الواجهة ، وأجحفوه بالرمي وهدموا عليه بعض منازل ، فخرج منها خائفا يترقب ، ونقبوا البيوت ، ونقلوا عيا له وأهله منها سوى الأموال فإنها ذهبت في الحرق والهدم والخرق ، وحرقوا بالرمي غالب عرضيه من رجال ، وخيل وجمال ، وخيام ومحال ، وأثاث وأموال ، وصارت جماعة الشريف يعملون على القلعة أنواع

الخدع فيكون مرجع وبالهم عليهم وكانت هذه القلعة من بناء السلطان سليمان كما يأتي راسخة البنيان ، شرفها يحكى نجوم السماء ، ويعصر عنه الطرف لكن دما ، تجارى السحاب ، ويزلق الطرف فيها كأنها سراب ، يضرب بها المثل في الارتفاع والشهوق ، تكاد تلامس ذروة نجوم الثريا والعيوق ، فكأن الهامة لها عمامة ، أو أتملة إذا خضبها الأصيل كأن الهلال لها قامة ، ومن جملة ذلك أنهم تسوروا عليهم السور بالسلام غير مرة ، وكان شيخ العبيد من خيار رجال الشريف مرور فقطنوا لهم وأرموا عليهم الحجارة ، فأنزلوهم إلى أن كادوا يصلون نجوم الأرض ووقعت الحجارة على رأس شيخ العبيد فهسكت البيضة في رأسه ، وخمدت روحه بأنفاسه ، ثم تنبهوا لمثل هذه القضية فعملوا كشافيات مثلثة أينا حلت جلست ، وكانوا إذا أحسوا بشيء من ذلك أشبوا النار فيها ، ثم رموها موضع ما أحسوا ، فتكشفت لهم الرجال فينزل عليهم صب الويال ، ويقتولهم كيف ما شاعوا ، واستمروا على مثل هذه الأحوال مدة أيام وليال إلى ضاق الشريف مرور ، بما وقع عليه من الشرور وعزم على السفر ، وكان حين أغلق باب القلعة على من كان فيها كان من جملةهم نخولى صيبا لدرويش عبد العال فضاك ذرعه ، وأخرجه على حين غفلة من القلعة ، ففطن به من أهل المدينة ممن يميل للشريف ، فأخذوه وأوصله للشريف ، وقال له : هذا الآن خرج من القلعة وهو صيبى لدرويش عبد العال فسأله الشريف عما في القلعة من الرجال فقال نحو عشرين مقاتل وما بقي نساء وأتباع وأطفال فهدده بالقتل إن لم يقر بالصحيح ، ويبين ذلك بالصریح ، فقال له : والله ما قلت زورا ولا أتيت فجورا ، فيقال : إنه ضحك مليا وقال : هذا القدر يفعلوا في فعل القدر ، ثم إنه حرض الرجال على اشتداد الحرب والتزال وساعدهم كثير من أهل المدينة ممن يميل لأولئك الأرجاس ، فلم يزدادوا إلا انهزاما وانعكاس ، وصار الشريف يحرص بنفسه العساكر ، وينى بيديه بروج خدع الدساكر ، فلم يزد إلا انهضام ويرجع هبا ما بناه من الركام ، ولما طال عليه الحال ، واشتد عليه القتال ، قال : إننا ننام وأولئك ^(١) لا ينامون ، ونحن جموع مجمعة وهم شذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون ، وإنا جميعا منهم حاذرون ، فليت شعري لا كان الله

عن أغراني ، حتى هانى ما دهانى ، فلا حيرن عليها فلاصبرن عليها صبرا الكرام ،
ولأناوشنهم الحرب ثلاثة أيام ، فإن كان كالماضى فإنى ذاهب عنهم وماض وإن لم
أكن بذلك راض ، فنزل عليها بخيله ورجله ، وكشف عن لثامه برفع خجله ،
واستمر عليها إلى وفاء وعده ، فلم يلح له برق رعه ، وكان ما استقبل أوديته
عارضاً فيها عذاب إليم ، وذاق بما كسب من الوبال أشد عذاب عظيم ، فعزم على
السفر بعد أن شفى من خبال سقر ، وأمرهم بشد الأحمال ، وربط الأثقال خفافاً
وثقال ، ونادى فى الرجال : لا يأتين جنح الليل وقد بقى لكم خيط أو ميل فكان
ذلك عليهم أشد مما ذاقوا ، وركضوا بمجواد عزمهم فى ميدان البهتان وتوجهوا
للشريف وساقوا ، وقالوا له : ما بقى إلا القليل فأعطينا كما عقدته على نفسك أولاً
من القيل فأنى إلا الرحيل ، ومنادمة السفر الطويل ، فزادهم ذلك صنعاً ووهنوا
ووضعوا وضعاً ، وكان عند الشريف رجل مغربى تاجر يدعى بالساحر ، ولما رأى
سأشم فيه من الأحوال ، وكثرة القيل والقال جاء إلى الشريف وقال له : الآن
تأخذ القلعة ، ويحصل لك بذلك غاية المنعة ، وفى الحقيقة أنه عند الله وضعه ،
وبأغراض نفسه الخبيثة عند الشيطان دفعه فدعى بطست قد ملاًها ، وقص جلودا
على صور الأودام فى لون الدما ، ووضعهم فى ذلك الماء ، وصار يتلو لهدوما وقال
له : ليكن جماعتك بغاية الحضور مجموعين نواحي السور ، فإذا رأوا الرمي قد
هدم فليرتقوها على العمدة ، فكان الأمر كما ذكر ، ولم يكن ذلك بيال بشر خطر ،
فما كان بعد حصّة حتى أشرق أولئك بالسحر وغصّة وهمد الرمي ، وضل كل
منهم عن هذه وعمى ، فخرقوا السور من ناحية باب الصغير وطلبوا منهم الأمان ،
فما كان جوابهم إلا الحسام والسنان .

كأنهم فتحوا أقلاع مالطة سلوا السيوف وجاءوا شارعى الأسل

وأذرعوهم قتلا وسلبا ، وفتكا ونهبها ، وهتكوا المحرمات ، وأسروا الرجال والنيين
والبنات ، وعاملهم معاملة قسوة لا تلين ، ما سمعنا بمثلها فى آباتنا الأولين ، ثم إنه
جهز حوالة للمسير ، وأخذ نحو خمسين رجلا من أهل المدينة فى شرك مخاليبه أسير ،
ولم يترك من النهب ما جل وقل والسلب ، ولا ممن وقع فى مخاليب اسره من الرجال
سوى رجلين أحدهما عثمان سردن والآخر عمر عبد العال لكونه أصابه فى وجهه

صواب ، أضله عن سبيل الصواب ، فأودعا محبوسين ، وبالنكال الأليم عند اليمن
مغضوبين ، وعززا بثالث في الحبس خادم لعمر المذكور كان لنعمته غرس إلى أن
فرج الله عنهم بكرمه والمن بعد إخراج اليمن ، ولما توجه الشريف من المدينة بجنوده
المرتبكة لثمان بقين من شعبان نحو مكة المشرفة وضع نحو أربعمائة من اليمن ووضع
وزيرا عليهم محمد بن^(١) العدواني المضايقي ، ولما وصل الشريف إلى مكة
مسك بعضهم عنده في النكال الشديد ، والوبال الأبيد ، وأرسل بعضهم على
القنفذة ، وبعضهم على الهند ، وبعضهم شتتهم في البلاد الطرائف والتلال ،
واستمروا كذلك إلى أن فرج الله عنهم وأطلقهم . انتهى .

قلت : لم يحسن .

* * *

(١) بياض بالأصل مقدار كلمة .

الفتنة السادسة

فتنة أهل المدينة مع اليمن ، التي غدت حكاية في جبهة الزمن

وذلك أنه لما فعل ما فعله الشريف سرور من عظيم المفاصد والشرور ، ولم يكتف بما فعله في أهل المدينة من غدره بالرجال ، حتى كمل ضلاله بوضع اليمن في هاتيك المحال ، فأحلهم قلعة السلطان يسكنوها بتمليكهم ، فكانوا على الحالين أفجر من ملكهم ، أشد إذا ^(١) على الأمة ، غلاظ لا يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة ، بل يرسلون عليهم من نار البغى شوانها وترايطوا على المعصية والعدوان ، واستبقوا وانتظموا في سلك الطغيان واتسقوا ، وسقوا الأمة من ماء البلايا حميما ، وجرفوهم على جرف هار المهانة والرزايا فقطع لهم صميما ، فمن جملة أخبارهم وأحوالهم القبيحة وآثارهم ، أنهم إذا مرّ عليهم أو رأوا أحداً من علماء الإسلام والإيمان قالوا هذا من القسيين والرهبان ، أو عباد الأصنام والأوثان وكانوا لا يسمون المدني إلا يهودى أو نصرانى أو وثنى ، وإذا أراد أحد يتتاع شيئا من طرف السوق يأتي بالدرهم الزائفة التي لا رسم عليها ولا عروق ، فإن ردها تسبب في أذية نفسه ، وإن كظم غيظه وأخذها فقد استضر بفلسه ، وهذا رأيهم أبدا ، ويعطى فعالهم أمرا فضجت الناس إلى الله برفع الباس فناداهم لسان الحال ، قد آن لكم انحلال عقد الأحوال وقلت :

وما هي إلا شدة وستنقضى ويبدو مجيء النقص عند تمامها

وقيل :

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

ولما كان ليلة أربعة وعشرين من شهر رمضان قام بعض الرعية ، وأخذتهم النخوة الإسلامية ، واجتمعوا في بيت لهم على الانفراد لتلا يظهر لهم على المراد ،

(١) في المخطوط : أشد إذا .

وتعاهدوا على نصره الإسلام ، وهجم القلعة على اليمن اللثام ، ووكلوا بعضهم بعضا الخواص بتعبئة البارود وصب الرصاص ، ثم اشتوروا في كيفية ذلك ، وكيف لنا الدخول في مثل هاتيك المهالك ، فقالوا يعمد أحدنا إلى مجلس الوزير الكائن برأس العنبرية ، ويجرقه من غير أن يفطن به في هذه العشية ، ونحن نتزين^(١) الدور الكائنة بقرب القلعة والسور ، فإذا خرج الوزير لما دهمه من الأمر الخطير ، هجمنا عليهم القلعة ، وأوصلناهم إلى أقصى القلعة ، فتموا وفعلوا ما عزموا عليه ، وانتظروا بعد تزيينهم تلك البيوت مجيء خبير حرق الكشك إليه ، فما كان قدر فواق ، حتى دهمه ذلك الأمر انعاق فخرج راكباً فرسه ، لينظر كيف صار غثا بالاحترق ما غرسه ، فلم يكن يبعد من مأواه حتى جاءه بعض من نصره أولاً وآواه ، وقال له : إلى أين المسرى ، وقد دهمك البلاء من أمام ووراء ، فأخذه بيديه ورجع ناكصا على عقبيه ، ولما استظمن في قلعته ، وأمن من روعه بعد أن أغلق عليه القلعة من بغتته ، سئل من نصحه وقمعه ، عما كاد يهلكه وفصحه ، فأخبره بكمال الصورة ، وأكثه استشعر من مرارة بعض اضطلع على تلك السريرة ، ولما رأى أولئك أنه قد خانهم التدبير وهوى بهم إلى حقيقى قعر البير ، خرجوا طالبين الفرار لأنه لا مقعد لهم ولا قرار ، فصادفوا بعد أن خرجوا من مقرهم بعض اليمن في الحماطة على ممرهم فواحدا قتلوه وآخر سلبوه ثم صاح الصائح ألا انفروا يا آل طيبة ، وعجلوا بكامل عدتكم والعيبة ، فما صدق الناس بمثل هذا الكلام حتى خرجوا من كل حدب ينسلون كالركام ، وصارت اليمن منهم من يسئل لوأذا ، ومنهم من يطلب ملجأ وملاذا ، وحشر منهم في بشر لسبيل الحاكم المقابل الباب المصرى نحو خمسة وعشرين ظالم ، فأخرجوا وقتلوا عن آخرهم وقتلوا من وقعوا عليه ممن كان في طرف الشريف وقطعوهم لدايرهم ، وأما ما كان من أمر الموكلين بالقلعة السلطانية من تلك الطائفة الخارجية الشيطانية ، فإنهم لما رأوا ما دهمهم من ذلك الأمر المنساب بادروا كالبرق إلى غلق الباب ، ثم طلوعوا إلى الأبراج ، وأرموا هتان منافع البنادق والمدافع على الأوعار والفجاج ، واستمروا على مثل هذه الأفعال مدة نُهر وليال وصار يطلع لهم بعض أهل المدينة إلى بعض

(١) في المخطوط : « وأنى ، خطأ .

البيوت المشرفة عليهم الحصينة ، ويرمونهم منها بالبنادق فيهدمواهم الرجال وينكسوا لهم البنادق ، واستمروا معهم لمدة أيام ، وهم معهم في شدة وآلام كل ذلك ولم يكثر بهم أحد ، بل إن الطفل صار يستجلب له النوم بصوت المدافع في المهد ، ومع هذا لم يقتل أحد بتلك المدافع والبنادق المنساب وأبلها الهتان سوى بقرة وشاب أخته باردة أو آخر رمضان ، غير أنهم كانوا خائفين من محبيء جرده من عند شريفهم أو نجده ، فاشتوروا فيما بينهم وأرسلوا لليمن بأن يخرجوا بالأمان ، فما زادهم ذلك إلا فجورا وطغيان ، فقال لهم الرسول : إني ناصح لكم فيما أقول ، ووالله إنكم لم تدوقوا حربا ولا طعنا ولا ضربا ، فإن أبيت أن تكونوا سنان فستدوقوا الليلة وما بعدها الحرب والطعان ، وإن مدافعكم المحررة لم تصب أحدا سوى شاب وبقرة ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ^(١) ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ^(٢) فلم يزدهم ذلك إلا فجورا ، وركوب عميا وغرورا ، ولما وصل إلى أهل المدينة هذا الخبر كان أنكى عليهم من وكز الإبر ، وعزموا على الحرب وشدة الطعن والضرب وطلعوا في الليل إلى تلك البيوت الشاهقة ، وأنزلوا على من بالقلعة صواعق الداهية الماحقة ، وقتلوا منهم جمعا لا يحصى ، وصوبوا من لا يدخل عدو ولا يستقصي ، وكذلك ^(٣) في كل ليلة على مثل ذلك ، فصاروا ينامون واليمن لا ينامون ، وأصابهم وبال النكال إن قعدوا أو قاموا ، ثم وقعت المشورة بين الحكام بأن يحفروا الغبا تحت بعض الأطام ويفتكوا عليهم جدار السور ، ويهبوا على أولئك صرصر الشمال وريح الديور ، فجاء الخبر لليمن بما اضمروه ، فوهى جدار بنيان تديبرهم بعد أن عمروه ، وعلموا أن لات حين مناص ، وتحققوا إن لم يعجلوا بطلب الأمان أن لا خلاص ، فأشاروا على وزيرهم بطلب الأمان ، وحرصوا عليه في ذلك التسليم والإذعان ، وقالوا لئن لم تسلم طوعا لا طاعة لك علينا ولا سمعا ، فقال لهم : إن الجردة تأتيكم عن قريب ، فتأخذوا بثأر من قتل منكم بأوفر نصيب ، فقالوا له : لا يفيد

(١) سورة الأعراف آية ٦٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٥٠ ، وسورة الشعراء آية ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٦ ، ١٣١ ،

١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، وسورة الزخرف ٤٣ .

(٣) كلمة « وكذلك » مكررة في المخطوط

الكلام ، ولو كانت تأتينا بعد ثلاثة أيام ، وتعاين له منهم الجدد والتعدى فوق
الطور والحد ، فأرسل وطلب الأمان ، فأمنوه على أن يخرج بما عليه كل إنسان ،
وأن يجدوا المحبوسين عمر عبد العال والآخر سالمين ، فخرجوا على الشرط المذكور ،
وتركوا جميع ما فى القلعة مدخور ، ووضعوا فى جبخانه البارود حبلا طويلا قد
اشتبوا رأسه بالقتيل تكية منهم للمسلمين لأنهم من القوم الظالمين ، فأطفوه ورجع
عليهم والووال ، وكان ذلك يوم الإثنين لسبعة عشر خلت من شوال ، من غير أن
يؤذى أحد بحال فله الحمد على أحسن حال ، وقد أرخ ذلك سيدى الجدد عبد
الرحمن بن سيدى الجدد عبد الكرم الأنصارى فى بيتين فقال :

خرج الوزير بشيئته وقد انقلعوا قوى قلعة
وأتى فى الحال مؤرخهم خرجوا الزبور من القلعة ^(١)
فمدة الحصار ثلاثة وعشرون نهارا ، ثم بادروا بالتعمير نحو خمسة أيام ما خرب من
السور .

(١) يوجد تاريخ بعد هذه الآيات سنة ١١٩٤ هـ .

الفتنة السابعة سنة ١١٩٤ أربع وتسعين ومائة وألف

فتنة الجردة ، وما كانت لهم بالحرة من جردة ، وذلك أن الشريف سرور لما بلغه ما وقع على اليمن من الشرور ، أخذته الرأفة والحنية على طائفته اليمنية واستفزته الحمية الجاهلية على مجاوري الحضرة النبوية ، فشخر ونخر ، وعبس وبسر ، وأدبر واستكبر ، وقام وقعد ثم فكر وقدر ، وقال : إن هذا لسحر يؤثر ، أمثلى يفعل هؤلاء البشر سأصليهم سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى عليهم ولا تذر ، لواحة للبشر ، وأرسل عليهم من نار الوبال شواظ بجنود كالليل شداد غلاظ لا يعصوني فيما به أمرهم ولا يستطيع أحد أن يعاملني بما أعاملهم لندرن عليهم مناهل المنافع ، فلتذرن الرجال آجالا والديار بلاقع ، ثم عمد إلى نحو ألف مقاتل ، ما بين راح ونابل ، وفارس وراجل ، كاسر وساجل أظلم من سواد الليل ، يحملون مناقع المنايا والويل وعليهم الشريف ناصر بن مستورة ، فخرجوا من مكة بكامل العدد والعدد ، مسرعين في السير يخذون فجاج مهامه الأوعارخذ ، متسرلين بسريال النكال والبغى ومتحلين بجلباب حلى الوبال والطغى ، فلم يزالوا كذلك بين أغوار وأنجاد وقطع مهامه وأوهاد ، إلى أن قربوا من البلاد ، ووطؤا لهم في العريض مهاد فجاء خبرهم إلى من بالمدينة من الرجال ، لست بقين من شهر شوال ، فلم يرعهم ذلك الخبر المهول ، ولم يعبا بهم أن يذكر سيرتهم أحد ويقول ، ولما أصبح الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، ونادى منادي الفلاح بحى على الفلاح شمر للهروب جيش ظلام الليل ، وأتى جيش النور عدوا خلوه مضمرا للذيل برز من خلف السور نحو ثلاثين هصور ، ليس معهم سوى خمسة بنادق وما بقى فبالعصى والبيض والسمر الخوارق العواتق استهتارا بتلك الأنذال لثلا يقال خرجوا لنا بكامل العدة والرجال ، ثم توجهوا لهم وأولئك أقبلوا ، وأخلصوا أمرهم لله وإليه تبتلوا ، فما كان دون فواق ، حتى حصل بينهم التلاق ، ودهم كل منهما على الآخر وهجم والدَّهم ، وزحفوا على بعضهم بعضا في حرة دشم ، وأحاط اللثام بالكرام ، وضيقوا عليهم بذلك الجيش الطام ، وأطلقوا عليهم الأعنة ، وأشاروا نحوهم بالأسنة وظنوا أنهم أخذ بهم بحسب

الظن والتخمين ، وتلا عليهم لسان ظلمهم ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١) فناداهم لسان حال المدنيين وتلا عليهم : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (٢) .

وابن اللبون إذ ما لزق قرن لم يستطع صولة البزل القناعين ثم رشقوهم بسهام المنايا ، وفروهم بحسام الرزايا ، وأولوهم بجراحات الآلام شرا ونجوا منهم كما نجى تأبط شرا ، ثم عطفوا على ميمتهم فكسروه ، وعلى ميسرتهم فخذوله وحطموه ، وعلى جناحيهم والقلب ، فأقلبوهم مع الساقة أى قلب ، واستمر بينهم الحرب والطعان ، قدر فواق من الزمان فأنزل الله نصره على المؤمنين ، وجعل كيده على القوم المجرمين ، فطلبوا الفرار وإلا فرار ، وولوا الإدبار بالأدبار .

مضوا متسابقى الأعضاء فيه	لأروسهم بأرجلهم عشار
إذا صرف النهار الضوء عنهم	وجاء ليل سليل والغبار
وإن جنح الظلام أنجاب عنهم	أضاء المشرفة والنهار
إذا فاتوا الرماح تناولتهم	بأرماح من العطش القفار
يرون الموت قداما وخلفا	فيختارون والموت اضطرار

وطلبوا الخلاص فلا خلاص ، وتيقنوا أن لات حين مناص ، فعادت ظهورهم درقا للأرماح ، وعواتقهم أقرية للصفاح ، وخيلهم تهوى بهم فى تلك الفيافي هوى الرياح ، وعاد إلى الظلمة ضوء نورهم والمصباح ، فكانوا كالمستسلمين يقتلوا ويسلبوا ، وكانهممكين فى اصطباج الغرور يهتكوا وينهبوا.

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام
 وألقى الله فى قلوبهم الذلة ، ورماهم بالعجز والقللة ، وأعلمهم بكل مرض وعلة ، فرموا عن جسداهم السلاح ، وتدرعوا بجلاليب السلاح وملأوا الجو خوفا بكثرة الصياح ، وأبقوا إلى الجبال وأبقوا الغبار فى يد الرياح ، فهووا هربا فى مهامه حضيض الهزعة والقل ، وتراهم ينظرون إليك خاشعة أبصارهم من الذل ، فقطعوا

(١) سورة العنكبوت آية ٣١ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠ .

مسافة السفر في أدنى مدة ، وهم يتحيلون الرجال معهم من الجهات الست
بكامل العدة ، ولسان الحال ينشدهم .

أين المفر ولا مفرّ لهارب إلا ظلال البيض والأرماح
فلم يزالوا يفرون تلك البداري والقفار فرى الأديم ذا الفقار ، لم يقر لهم قرار لا ليل
ولا نهار ، إلى أن وصلوا إلى شريفهم لإرسالاً ، لا يستطيعون رفع طرفهم ولا رد
سؤالا ، فاشتبهت قصتهم بمقاتلة أهل المدينة بهذا الجيش ، قصة محاربة رسول الله
ﷺ بيدر كفار قريش ولما رآهم الشريف بتلك الحالة ، تيقن قبل سؤالهم بأنهم
دارت عليهم المحالة ، ثم سأهم عن كامل الحقيقة بما وقع عليهم بالذرة والدقيقة
فأخبروه بما صار عليهم من الهزيمة ^(١) ، من شذمة أهل المدينة ، فتعجب من
ذلك غاية العجب ، وتاه في صبح غروره والطرب ، ثم دعى من عنده من
الأسرى ، رجال المدينة الأسرى ، وقال لهم مستفهما بلسان المقال ، هل تركت في
المدينة رجالا للقتال ؟ فقالوا له : إنك لم تأخذ أحدا من الشجعان ، بل من
يهدم شعل نيران الحرب والطعان وكل من رأيت في بلادنا ما بين أغوارنا وأنجادنا فلا
يستطيع أحد من رجالكم أن يذكر معه ، بل ولا يرضى أن يكون عيلة عليه أو
تبعه فتنفس الصعداء ، وقال : بارك الله فيهم حموا بلادهم ووقفهم الله وهدى ،
وبعد مدة قليلة أطلق من عنده من الأسرى ، وكان رجوع الجردة إلى مكة ودخولهم
فيها لاثني عشر خلت من ذى القعدة .

وقال الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني رحمه الله تعالى :

يا من تولّع بالتشبيب والغزل	وقد صبا في مليح العُنْج ^(١) والكحل
باهى الجمال الذى قد حاز ميسمه	عقدا من الدرّ أو خمراً من العسل
كم ذا التصابي إلى نحو الحسان وكم	تكون صبا وعنهم أنت لم تحل
تميل للغيد لا تنفك عن كلف	بأهيف القد ذاك الرجح الكفل

(١) الهزيمة : أن يَهْزِمَكَ القوم شيئاً ، أى يظلموك الصحاح (مضم) ٢٠٥٩/٥ .

(١) العُنْج : الشكل ، غنجت الجارية كسمع وتغنجت وهى مفناج وغنجة القاموس (غنج)

تفدى بروحك أهل الأعين النجل
 وعن مغاني الهوى واللهو فارتحل
 ونح عليهم بدمع منك منهمل
 بالعز من قبل والإكرام لم تزل
 عن النبي الشفيح الطاهر الكمل
 بحفظ جيرانه من كل منتحل
 سوء يدوب كذوب الملح في البلل
 مختار طه المرجى سيد الرسل
 والناس في شغل منها وفي شغل
 في جحفل سائل قد سد للسبل
 وأسلموا الأمر للرحمان فهو ولي
 ويصلح الأمر فينا غير مغتفل
 من المخاوف من مكر ومن حيل
 كأنه قاصد للخير في العمل
 غدا لِقَلْعَتِنَا بِالْغَدْرِ فِي أَمَلٍ
 وقاوموه وليسوا منه في فشل
 قالوا الأمان وأمين الأمان من ختل
 منه لأعطوهم التأمين بالعمل
 سود الوجوه عراة الإست كالأبل
 السيوف وجاءوا^(٣) شارعي الأسل
 هتك العيال مع الصبيان والحول
 وأحسرتاه على ذا المنكر الجلل
 بنهب أسبابها الباقي من الأول

تهوى الرشاق الأولى باللحظ قد فتنوا
 دع التغزل فيهم كم تغازلم
 واذكر لمن قتلوا في طيبة بطراً
 في طيبة المصطفى دامت معظمة
 كم جاءنا من حديث في فضائلها
 وكم قد أوصى بلا رب لأمته
 بشر لكايدها أو من أراد بها
 أما سمعت بما قد صار في بلد الـ
 من محدثات أمور أحدثت فتننا
 جاء الشريف سرور ذو الشرور بها
 فارتاعت الناس مما قدر^(١) أو فرعاً
 قالوا عسى تحصل الأفراح منه لنا
 فأمن الناس تسكيننا لخطارهم
 وأظهر العدل والإحسان مقتصدنا
 فلم يرعنا سوى مسك الرؤوس^(٢) وقد
 فمنعوها رجال الحرب جيزتها
 فبعد ثلاثة لما هُمُوا غلبوا
 لو أنهم طلبوا الكفار ما طلبوا
 جاءت جماعته العبدان مع عرب
 كأنهم فتحوا أقلاع ماطة سلوا
 فصار ما صار من سفك الدماء ومن
 ونهب أموال خلق الله وا أسفا
 شنوا على القلعة الغرا أغارتها

(١) في المخطوط : : رؤا .

(٢) في المخطوط : : الرؤس .

(٣) في المخطوط : : وجاءوا .

بسوء حال ، وهتك معه متصل
كم قتلوا من شجاع باسل بطل
خرجن من فعلة الأوغاد والسفل
من بعدما كن في الأثواب والحلل
وفي النفوس وهذا حكمة الأزل
عبيد تلك العبيد السود كالجعل
وأهلهم في عويل غير منفصل
به القلوب لهذا الأمر والحلل
عقولهم مثل عقل الشارب الثمل
لال كالسبي تحت الدّل والحجل
يحذر الناس أن كونوا على وجل
يفك عسرهم من فضله الهطل
وحرمة فعفى عن صاحب الزلل
قليل خير عديم العقل كالوغل^(١)
علجا من الروم ضخما غير محتفل
في عسكر كقرود البر والجبل
يحتاج يذكر في التأريخ والمثل
أمر عظيم على الإفساد مشتمل
قاموا عليه لما أبداه من دخل
يحصي مدى الدهر والأزمان والملل
وقد شفوا منهم للداء والغلل
وجاوزوا الحدّ في فحش وفي خطل
طِعَانِنَا رِمَاً تحت القنا الذبل
كما أرادوا بهم في شر مقتل

وأخرجوا أهلها منها بظلمهم
كم قتلوا من صنديد مكرمة
كم هتكوا عرض ربات الخدور وقد
هلكى حفايا عرايا في مكابدة
أصبين في المال والأهلين مع ولد
رجاهن غدوا أسرى كأنهم
مقدار خمسين في الأغلال قد أخذوا
فيالذلك من يوم قد انفطرت
تري الأنام حيارى من فعائلهم
فقيدوهم جميعا في السلاسل والأعد
وحين راح في الأسواق مرّ بهم
فنسأل الله مولانا الكريم بأن
فليته لو رعى للمصطفى ذمماً
هذا وولّى وزيراً من جماعته
كثير جور عظيم الكبر تحسبه
أحله قلعة السلطان يسكنها
فذا لعمري عجيب في الأنام غدا
فأظهر البغى والعدوان يظلم مع
لكن جزى الله أبطالا بطيبة إذ
خيلا كثيرا عظيما لا يعد ولا
فقتلوا فوق عشرين لعسكره
عتوا على الناس من جهل ومن سفه
قالوا ستركم عن أهل طيبة من
فما مضت مدة إلا وقد تركوا

(١) في المخطوط : كالوغل ، تصحيف .

والوغل : هو الضعيف النذل الساقط المقصر في الأشياء . القاموس (وغل) ٦٥/٤ .

فأغلق القلعة الغرا وزيرهم
فكم رموا من مدافع بلا عدد
فما أصابت بحمد الله غير فتى
فحاصروه بها من بعد ما منعوا
فحينئذ رأى عجزاً به طلب الأ
فأخرجوهم بلا ضر ولا نكد
فحين أسمع ذى الأخبار سيدهم
فأرسل الجردة التعساء لاطفرت
فقابلوهم رجال الحرب في وشم
كم أنزلوا فارساً بالعزم من فرس
كروا عليهم ففروا حيناً علموا
وذاك في عام ألف بعده مائه
بذاك عن طيبة قد زال ملكهم
لكن بحمد إله الخلق خالقنا
سلطاننا الملك العالى ومالكنا
منها القلوب لقد سرت وقد فرحت
هبت بناديه ربح النصر عاطرة
ودام في الملك تأتينا بشائرة

وقام يحرنا بالجد لا الكسل
وأرعبوا لقلوب الناس بالقلل
أضحى شهيدا من الجنات في ظلل
عليه ماء وزادا وهو في ملل
مان منهم فأعطوهم بلا مهل
مع الأمان وأجلوهم بلا جدل
انغاط حتى امتلا بالهم والعلل
لأهل طيبة في جمع من الهمل
في معرك من صياح الحرب في زجل
كم قتلوا منهم يا صاح من رجل
من أن قربهم يدنى إلى الأجل
من قبل أربع مع تسعين إن تسل
فهل سمعت بملك غير منتقل
جاءت لنا نجده من مالك الدول
عبد الحميد مليك الوقت خير ولي
والناس ملائنة بالأنس والجدل
على الدوام مدى الأبيكار والأصل
ما أهطلت سحب دمعاً على طلل .

إلى أن قال رحمه الله تعالى : ثم تولى مشيخة الحرم محمد جوهر أغا دار السعادة
سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة وألف واستمر في المنصب إلى توفى سنة ١٢٠٣
ثلاث بعد المائتين والألف ، وفي أيامه على رأس المائتين حدثت فتنة عظيمة بين
عساكر المدينة وسببها : أن بعض محبي الفتنة أشار عليه بعزل كتحذا نوتجتيان
أحمد رجب ونصب عبد الله مدينى ووقعت المشاحنة بين الوجاقات وتعصب كثير
من النوبجتيية برد الكتحذا أحمد رجب وساعدهم على ذلك أهل القلعة ولما رأى
الكتحذا أحمد رجب زيادة الحال تعفف عن المنصب وطلع إلى قباء لإطفاء لنار
الفتنة ، وكان قاضى المدينة المنورة في هذه السنة إسماعيل أفندى كاتب زادة وكان
رجلاً مباركا ، فصار يتفوه ويقول : والله أنا حى بالمدينة لا تقع فتنة فيها أبداً ،

فكان الأمر كذلك إلى أن توفي رحمه الله ، ففى يوم وفاته ضحوة النهار ما فطن الناس إلا وأهل القلعة ومن فى طرف أحمد رجب نزلوا المحكمة السلطانية ومدرسة باب الرحمة ومسكوا المسجد وجميع ما حوله وأطلقوا على أولئك الطائفة رميا بالبنادق عاما ، وكادوا يضبطون الحارة ، وأثاروا على جميع ما بها الغارة ، ولما وصل الخبر إلى شيخ الحرم خرج من بيته مدهوشا ، وقال : اذهبوا إليهم وارضوهم بما يكون ليطفئوا نار الحرب ، فإن كان يرضيهم قتلى أسلم لهم نفسى ، وإن كانوا يسفرونى سافرت فى هذا اليوم ، فذهب إليهم وسائط الخير ، وقالوا لهم بذلك . فقالوا : كل ذلك لا نريد ، وإنما طلبتنا يسيره ، ويدنا عن طلب مثل ذلك فى حقة قصيرة بل يعزل عبد الله مدينى من المنصب وينصب أحمد رجب فقال : إيتونى به فأنزلوه من مكانه ونصبه ودقه النوبة وتوجه كل منهم إلى منزله وطفيت الفتنة فى تلك الساعة كأنها لم تكن وفتحت الدكاكين وحصل البيع والشرا ، فانظر إلى كرامة هذا القاضى ولطافة هذا الأغاء رحمهم الله وإيانا أجمعين .

انتهى ما أردت جمعه فى هذه الرسالة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكان الفراغ من جمعها صبح يوم الثلاثاء غاية ذى الحجة الحرام ختام سنة ست بعد الثلاثمائة والألف بقلم جامعها الفقير إليه عز شأنه : جعفر بن السيد حسين بن المرحوم السيد يحيى هاشم الحسينى المدنى غفر الله له ولوالديه ولمشايعه ولجميع المسلمين آمين .

الفهارس الفنية

- ١ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٢ - فهرس الأعلام .
- ٣ - فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	الآية
	[٣] سورة آل عمران	
٩٣	﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾	(٥٠)
	[٧] سورة الأعراف	
٩٣	﴿ وإني لكم ناصح أمين ﴾	(٦٨)
	[٨] سورة الأنفال	
٩٦	﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾	(٣٠)
	[١٠] سورة يونس	
٧٨	﴿ فاليوم ننجيك بيدنا لنتكون لمن خلفك آية ﴾	(٩٢)
	[٢٠] سورة طه	
٣٠	﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾	(١١١)
	[٢٦] سورة الشعراء	
٩٣	﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾	(١٠٨)
	[٢٩] سورة العنكبوت	
٩٦	﴿ إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ﴾	(٣١)
	[٣٦] سورة يس	
٧٩	﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾	(٨٢)
	[٤٣] سورة الزخرف	
٩٣	﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾	(٦٣)

٢ - فهرس الأعلام

الصفحة	(الهمزة)
٢٩	إبراهيم باشا (أغا)
٣٠	أحمد تركي
٦٨	أحمد الجامي
٥٩	أحمد خليل
١٠٠	أحمد رجب
٢٨	أحمد بن زيد
٧٨	أحمد مكى
١٠٠	إسماعيل أفندى
٢٢	أيوب أغا

(ب)

٢٩	باكير باشا
٣٣	بشير أغا
٦٢	البقسماطى
٣١، ٢٩	أبو بكر باشا
٨٤	أبو بكر حلى
٧٠	بلال عنبر

(ت)

٧٧	تاج الدين إلياس
----	-----------------

(ج)

٦٨	الجامي
----	--------

الصفحة

٢٢

٥٨

جعفر البيتي

ابن جعفر بيك

(ح)

٢٠

٤٦

٣٨

٦٤

٣٩

٦٤

حافظ محمد أغا

الحجاج

حسن كابوس

حسن كوافي

حسين

حمزة ظافر

(د)

٨٨

درويش عبد العال

(ر)

٤٦

ابن الرشيد

(ز)

٥٩

زين العابدين

(س)

٥٦

السادات

٨٨

سرور ساعد

٨٢

سعد سعود

٣٤

سعود بن سعيد

٥٨

سعيد

٥٨

سلطان عبد مديني سندی

٧٦

السيد حسين العلوي

٨٨

سليمان السلطان

٧٦

السيد حسين العلوي

الصفحة

٤٠	السيد جعفر البيتي
٢٨	السيد أحمد بن زين دجلان المكي
٣٠	السيد حسن
٢٩	السيد عبد الكريم بن السيد
٢٧	السيد عبد الكريم اليرزنجي
٢٩	السيد محمد أسعد
٢٧	السيد محمد بن السيد علي أبي العزم
٢٨	السيد محمد النحال

(ش)

٢٠	شاهين أحمد أغا
٦٢،٥٩،٥٨	شرف قباني

(ص)

٤٧	صالح الأروام
٥٨	أبو صالح محمد بن صالح
٣٩	الصالحى

(ع)

١٠٠	عبد الله مديني
٤٠	عبد الرحمن أغا الصغير
٤٠	عبد الرحمن أغا الكبير
٢٧	عبد الرحمن عبد الكريم الأنصاري
٦٨	عبد الحميد (السلطان)
٣٨	عبد القادر ظافر
٥٤	عبد الكريم
٧٠	عبد اللطيف
٢١	عبد النبي أغا

الصفحة

٨٠	عبيد قدك
٣٨	عثمان بيك
٢١	على إبراهيم
٥٩	على أغا
٥٨	على قللى
٢٨	على قنا
٣٨	عمر زكى
٩٧	عمر عبد السلام الداغستاني .
٩٤	عمر عبد العال
٥٨	عمر العسال
٦٤	عيسى الجزار

(ق)

٦٨	آل قارون
٦١	القلبلى
٥٨	القمقمجى
٦٢	القندقجى

(م)

٢٩	مبارك بن أحمد بن زيد
٨١	المتنبى
٧٠	محمد بالى
٥٤	محمد أبى البركات
١٠٠	محمد جوهر
٥٨	محمد حلبى

الصفحة

٥٨	محمد أمين
٨٤	محمد فلبلي
٨٥	محمد قمقمجي
٦٥	محمد باشا العظم
٦٥	محمد العظم
٦٥	محمد سعيد سفر
٣٨	محمد مراد
٤٢	مسعود
٣٨	مصطفى أودباش
٧٠	ابن مضيان
	(ن)
٩٥	ناصر بن مستورة
	(و)
٧٠	ابن وائل
	(ي)
٤٧	يزيد
٣٦	يعسوب
٢١	يعقوب
٥٤	يوسف

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	- مقدمة
٩	- أهمية الكتاب
١١	- ترجمة المؤلف
١٢	- وصف مخطوطة الكتاب ، وعرض نماذج منها
١٩	- مقدمة المصنف
٢٠	- ذكر الفتنة الواقعة بين أهل المدينة وبنى علي سنة ١١١١ هـ
٢٢	- ذكر قصة العهد سنة ١١٣٤ هـ
٣٤	- ذكر فتنة بك بشير أغا سنة ١١٤٨ هـ
٣٨	- ذكر فتنة عبد الرحمن أغا الكبير سنة ١١٥٥ هـ
٥٨	- الفتنة الأولى سنة ١١٨٧ هـ
٦١	- الفتنة الثانية
٦٤	- الفتنة الثالثة
٧٠	- الفتنة الرابعة سنة ١١٨٩ هـ
٧٤	- الفتنة الخامسة سنة ١١٩٤ هـ
٩١	- الفتنة السادسة
٩٥	- الفتنة السابعة سنة ١١٩٤ هـ
١٠٣	- الفهارس الفنية
١٠٥	- فهرس الآيات القرآنية
١٠٦	- فهرس الأعلام
١١١	- فهرس الموضوعات